رواية

دموع

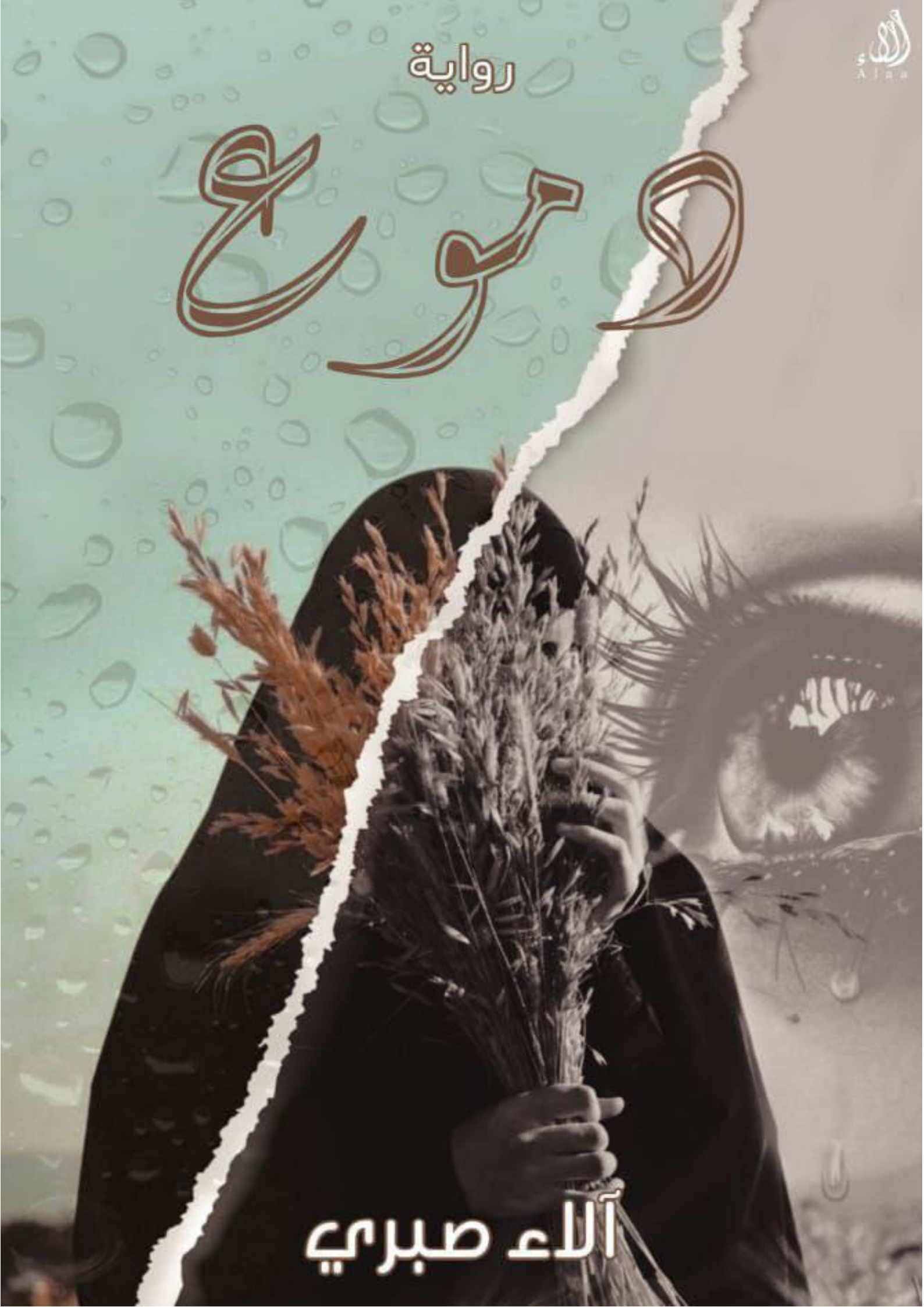

آلاء صبري

دموع

آلاء صبري

تصميم:-

غلاف خارجي: آلاء محمد

غلاف داخلي: رحاب جمال

تعبئة وتنسيق: رحاب جمال

جروب الكاتبة آلاء صبري

ليسكُل ما يُحكىٰ يُوصف؛ ولا كُل ما يوصف

يقال، ربما أعشقك ولا استطيع البوح!

إهداء إلى

كل روح سكنت تسعة عشر شهرًا داخل الرحم

كل روح خاضت حروب الحياه منذ المَهد

كل روح مازالت تعاند الحياة

المُقدمة

هذا مُحيطي، وهذا عالمي

يُحرَم عليكِ الاقتراب ولكن فعلتيها، حذرتك

لكن لا تستمعين

دعيني أعترف عزيزتي تجيدين التحدي ولكن

هل تجيدين المواجهة؟

حسنًا فلنرى

الفصل الأول

"تنفس بعُمق ثم اضبط نبضات قلبك ولنكن رِفاق تلك الرحلة والمعاناة في كل بيت"

سكون مهيب يليق بحضور صاحبة، يعطي ظهرهِ لقصره الفَخم كأنه يدير ظهره للحياة بأكملها.

يصوب هدفه حيثُ نقطة ما، نقطة سوداء صغيره تُشبه سواد حياته بالكَامِل!

رمح مُنتصب

حاد الملامح

غامض كالهدف

ماكِر كالسهم

في قانونه:

"إذا لا تستطيع أن تواجه نفسك؛ فلا تلوم على

غيرك!"

قانون من أهم قوانين "أويس الرافعي"

واجه نفسك، ثم واجه الآخرين بأخطائهم.

الماضي، كلمة لعينة

الحاضر، كلمة تحمل الشقاء

المُستقبل، الغيوم السوداء!

لكلًا منهم نقطة حمراء يُحَرم الاقتراب منها

ماذا لو اقتربت!

الحُب!

لا توجد في قاموسه

القَسوة!

لا يُجيد التعامل بِها.

الصمت!

عنوان حياته وكتابه المُحرم على الجميع.

يعيش فى وحدته التي عشقها، تخلى وجرد ذاته من كل شيء

تخلى عن لقب "المُستشار" الذي يتغنى بهِ والده بفخر

اما عنها فتخلي عنها بسهوله ليصبح الطريق لها مغلقًا، تركها خلفه وذهب بلا عوده.

- أويس بيه الطيارة اتحدد موعدها

رفع بصرة إلى الشخص المسئول عنه وعن مواعيده وكل شيء يخصه

جذب أشيائه ثم استعد لخوض معركته لأجلها هي فقط، سيفعل ما يُمليه عليهِ قلبه دون النظر إلى أحد، سيزيل العوائق لتكون زوجته.

* * *

تُرى هل الدمع يؤثر بي!

تُرى هل الذكريات تؤثر حقًا!

أقسى القلب قلب الحزين يوم ذكراه! وما أقساه حقّا

لم يرف لها جفن فقط تنظر للجميع بجمود يتهامس عليه، ليس للحزن فحسب بل للجمود الذى يعزف على عينيها

ما أقسى قلبًا خُلق منذ المهد لحياة حُرم منها، ما أقسى القسوة من الأقربين الينا!

انتهى العزاء عقبتها زفرة الخلاص خرجت من جوفها بعُمق، تجمدت عينيها على أخر شخص توقعت وجوده، طليقها بل مُعذبها وقاهر روحها، من مزق حياتها لأشلاء عقب الطلاق رمقته باحتقار ثم قامت من مجلسها صوب

غرفتها دون الإلتفات لأحد أو انتظار كلمة عزاء من أحد

عزاء! هل حقًا استشعرت تلك الكلمة اليوم!

الإجابة لا هي تبغضه ولن تبكي ولا دمعة على روحه

"إنها شموس، تلك التي لم تذر شمسها يوم، التي نمت فى حياة بائسه بحق"

ظلت على هذا الوضع فقط شاردة أمامها، لا ترف لها مشاعر منذ وفاة والدها بل شعرت وكأن جبل وقع من على قلبها ليخفف ثقلها

قسوة

خُذلان

حزن

عنف

دمية!

شريط من الذكريات يتأرجح بين الماضي

وعقلها وهي تعاني في المنتصف

قلب! لا يوجد مكان للقلب يومًا فى حياتها،

أغلقته ورمت مفتاحه بلا رجعه!

هل ستزور شمسها يوم!

*** * ***

- مش بترد على مكالماتِ ليه؟!

أغلق الملف الذي يحتوي على تفاصيل مرض

إحدى المرضى

وجه نظرة لها، نظرة جامدة ليس بها أي معنى

وكأنه يقول

" لماذا يُعنيني أمرك بعد"!!

زفر بحنق قبل أن يغتصب ابتسامة على شفتيه قائلًا:

- فيه حاجه مهمه لعصبيتك دي؟

التهم الغضب عينيها بتملك، ثم قالت بسخرية:

- ويا تري سخريتك دي وراها المريضة اللي اهتمامك بيها اوڤر يا دوك؟

- وانتِ مَالك بيها يا سيا؟ مجرد مريضه حسيت بفضول لقصتها مش اكتر!

وكأن كلامه لا ينطلي على عقلها الهائج، عقلها يخطط ويدبر وينفذ دون أن يرى الجزء الأهم "هو"، استنكرت كلامه بسخرية:

- كل المرضى هنا قصصهم بتثير الفضول إيه اللي جد؟

رفعت إصبعها فى وجهه بتهديد موارى غفل

عنه:

- ياريت أخلاقك النبيلة متنسيش مين هي سيا كارم! هنزل يا دكتور تمام؟

راقبها حتى اختفى طيفها ليظل شارد بها هو، أيلام نفسه على تلك الزيجة الخاسرة أم يلوم فقرة الذي جعله لقمة سائغه لها، أم يلوم فقر مكانته لعدم حصوله على عمل دون واسطة مرموقة من علية القوم؟

بين كل هذا وذاك يلوم نفسه لعدم وفائه لسيا، امرأة مرموقة المكانة ساعدته ليحصل على تلك المكانة العالية داخل مستشفى والدها، يلوم نفسه على قطاع والدته وإخوته حتى لا تتأذى وجهته الاجتماعية والآن عاد شارد الذهن في ما مَضى!!

توجه إلى غرفتها البعيدة عن الأنظار حتى ينال من عينيها ما حرم منه سنينا

تحرك جالسًا أمامها بصمت شارد، قطع الصمت بعد برهة من الوقت قائلًا:

- أخبارك إيه النهاردة يـ" شهد " حابه تتكلمي دلوقتي؟

رفرفت جفنيها بتوتر وخوف نابع من عمق قلبها

خوف من الماضي والحاضر

والمُستقبل! حقًا دون أن تعلم خباياه تهابه وبشدة!

حررت صوتها أخيرًا مستردة سرد قصتها البائسة بأنين:

- لما كان عندي 16 سنة حرمني ابويا من

تعليمي و.. وقال أنه البنت مكانها بيت جوزها

واتجوزت واحد أكبر مني بـ 12 سنة

استعوضت ربنا فى تعليمي ونفسي وقولت

هخلي اهتمامي لـ جوزي بس حياتي كلها

اتقلبت، هو عنيف فى العلاقة لدرجة دخلت

المستشفي مرتين بسببه وحصل تأخر حمل

بسبب أنه عنفه أذى الرحم والحوض، طلبت

الطلاق هددني واخر حاجه فكراها أنه خلى

واحد ينام معايا غصب عني علشان يقول إنه

أنا خاطيه ووو

صمتت لم تستطع أن تستكمل الباقي من

مأساتها

ارتعاشة قوية اصابة جسدها؛ لتكمل قبل أن

تدخل في نوبة صراخها وكأنها تعيش داخل

الحدث مجددًا:

- عراني ليتصور بجانبي ويفضحني! قام زوجي بفضحي لأنني أردت فقط حريتي!

زاد ارتعاش جسدها وانامِلها تتمسك في جسدها بحماية، جاء ليقترب لتصرخ في وجهه بعدم الاقتراب ومازالت تصرخ بآهات يقتل القلب!

ما أصعب ما رأته حقًا، كيف يفعل المرء فى عرضه هكذا!

اعُدمَ الرجال رجولتهم! أم صرنا في عصر لا يوجد للرجولة محل من الإعراب!

كان قاب قوسين أو أدني من هاوية مشاعره، يرى حالة من أصعب الحالات التي عرضت عليه ويكون عاجزًا عن المُساعدة

أما هي فكانت تغوص بين أحلامها السوداء

نظرات الناس وهمساتهم

صورتها التي باتت حديث الجميع وبجانبها

رجل!!

ما أقسى شعور الظلم حقًا.

* * *

"كل الناس مرضى نفسيين، حتى الأطباء

يحتاجون لمن يستمع لهم"!

أنهت تلك العبارة على حسابها على التواصل

الاجتماعي تليها غلق هاتفها، كانت تلك العبارة

موجه لشخص ما بعينه، لأخيها الذي فضل

نفسه عليهم

- "هكذا هؤلاء الرجال عندما يصبحون شيئًا

يظنون ان غيرهم لا شيء، مساكين!

استمعت إلى شجار بالخارج ليتبين الصوت لـ والدتها وأخيها الصغير، خرجت لتعلم سبب الشجار العالي هذا

تبين من الشجار صوت أخيها يقول بعنف لا يناسب سنه:

- قولي يا ماما هكمل تعليمي ازاي وادفع فلوس الجامعة واشتري لاب توب منين ها؟؟

جلست الأم حزينة الوجه، شاردة في كل المسئوليات التي باتت عناءًا عليها، مُستقبل طفلها مرتبط بالمال! كيف تتدبر كل هذا حقًا!

حاوطته أخته الكبرى "ندا" بحنان جارف قائلة:

- ها المهندس يتكبر علينا ويعلي صوته على أمه من دلوقتي؟ صوتك عالي ليه يلا!

دب الذعر فى عيونه يسرع بالإجابة نافيًا:

- لا والله لكن مستقبلي اعمل ايه

قطع حديثهم صوت والدتها قائلة بحزم:

- ولا حاجه انا اللي هعمل وادفعلك الفلوس متزعلش نفسك

أسرع "يوسف" يجلس أسفل قدمها يقول بحنو:

- لا يا أمي

حاوطت والدته وجهها بين كفي يديها منهيه الأمر:

- لا هتكمل تعليمك وتكون أول نور يا نور عيني، مبارك عليك يا ابن قلبي.

* * *

عزيزي القارئ إذا كُنت من مُنصفي الرجال في

أفعالهم الغير سوية وتمشي مع طيار الحياة

بضعف فمكانك ليس هنا.

قَد بَان فِي وجهِها الصَّبور بُكاها..

تجلس بصمت مُنكسر ترى أمامها ما يُدعى

بالأسرار، الخلافات وما شابه يُعرض أمام

الجميع مشهد سينمائى منهم من راق لهم ذلك

الخلاف والمشهد بالكامل..

انكسار..

خيبة..

إتلاف روح..

غضب مكتوم..

اجتمع بداخلها تلك المشاعر تود أن تقف

وتصرخ بصوتها كله تنهى تلك المهزلة، تود

أن تمتلك الشجاعة وتجعلهم يتوقفون عن إلقاء

اللوم على بعضهم وسرد تفاصيل حياتهم أمام الجميع

نظرت حولها ولكن حقًا لا أحد سواها هي وأخواتها يشعرون بذلك ألم يكفيهم ضيق عيشتهم وختموها بذلك العرض!

خرج من بين الأصوات صوت رجل يبدوا من شكله أنه في الثلاثين من عمره يوجه حديثه لها قائلًا:

- قوليلنا إنتِ يا أمنية، أمك بتودي باقي شكارة الرز فين؟

زمت شفتيها تمنع نفسها من البكاء بصعوبة، ما بالهم هؤلاء يجعلها تعيش اشياء لا توافق سنها ولا يتحملها عقلها..

قامت من المجلس بأكمله بعد أن ألقت نظرة

مختلطة بين الحزن والعتاب لوالديها ثم اتجهت حيثُ غرفتها

ملاذها الوحيد ومسكنها من شر الحياه، أغلقت الباب خلفها ومازال أثر الماضي يطارد عقلها الصغير..

تُرىٰ إلى أين تأخذها الحياة وإلى متى ستتحمل في داخلها!!

* * *

اليوم التقديم الخاص بها في المعهد الخاص، جهزت أوراقها بتردد

هي حائرة بين تكمل تعليمها أم لا

لقد عانت الأمرين في الثانوية العامة وليست مُستعدة أن تخوض حربًا مع والدها من جديد وتضع والدتها رهن كلماته.

صوت والدها الغاضب يأتي من الخارج، مُنذ أن علمت بأمر المال وهم على هذا النمط والدها يهنيها بكافة الطرق ووالدتها تحارب حتى لا تجلس ابنتها من التعليم بأكمله.

تنهدت بحزن على حظها العسير، أخر كلمات خرجت من عَمْها عبارة عن "مجرد سنة وتتزوج"

الفصل الثاني

"الحنين يطرق على قلبي كالنار، لا حنين لحاضر مادام نفتقد الماضي"

وزعت الذبائح وعلت البهجة كالزينة على وجوه أهل القرية، ابن كبيرهم عائد من السفر ووريثه في الحكم خلفه، كان هناك يقف بجانب والده بكبر ووقار لا يتخلى عنهما أبدًا، يرى بعينيه تهافت الناس له بحب خالص غير مشروط أو مجبور عليه، ظل على صمته حتى قطعه والده بسؤاله التي لا يخلو نبرة الفخر والتباهي منها:

- هتفضل هنا ولا ناوى ترجع تاني؟

نقل "أويس" نظرة إلى والده أخيرًا معقبًا على حديثه بنبرة متهكمة:

- غريب والله، لا والله غريب مش عاوز اصدمك، بس مبقاش فيه مستشار ولا بواب حتى

تلون وجه "ماهر الرافعي" بغضب وصدمة تشكلان على معالم وجهه المجعد، جذبه من مرفقه ثم سحبه نحو الداخل بغضب لا يستطيع كتمه، ولا يجول بعقله سوى جملة واحدة

"والد المُستشار" ذلك اللقب الذي طالما استخدمه لمصلحته وحتى أنه أجبر "أويس" للدخول في هذا المجال ليكون وسيلة رابحة لعمله

"النفوذ والمال "

كلمتان متوازيتان كلا منهما تتفقان فى شيء واحد وهو

"عمىٰ القلب"

تحامل "أويس" بصبر يُحسد عليه أمام والده، مهما فعل يظل والده ولا يجوز أن يتطاول عليه، أنهي "ماهر" حديثه الغاضب تتبعها سبه عنيفة جلدت قلبه بعنف:

- عامل زي أمك بالظبط بتجروا ورا الفقر برجليكم.. خلفه الندامة خلفتك

حسنًا يكاد يجزم الآن أن قلبه يتمزق، شيء ليس بالهين مهما تعددت رواياته سيظل كلام الأقربين أشبه بالسم الفعال

وعِند ذكر والدته هاج قلبه بحنين وشوق تلك الحنونة التي لا ترى منذ أن عاهدت ذلك الرجل يومًا طيبًا

تركته!

تركته يعاني هنا وحده ولكن لا لوم عليها يكفي ما رأته، يكفي!

حرر حبل صوته أخيرًا بصوت يشبه الموج الهائج:

- كلمة كمان عن أمي وهنسىٰ إن اللي واقف قدامي يبقى مين، الحاجة الوحيدة اللي هي عملته صح انها سابتك بفرعنتك وجبروتك

رمقه والده بنظرة مشتعلة تقتل ثم ألقى بحديثه كـَ سهم مُشتعل:

- من بُكرة هتنزل للأرض تقف على راس العمال ونشوف الشغل هيعجب ابن الذوات ولا لا

رمقه بنظرة باردة ثم نظر أمامه ببرود وكأنه لم يسمع شيء

لقد تعود على هذا الأسلوب المتهكم والمتسلط منذ عهد قديم، هو من اختار مجال دراسته ويحرمه من الاختيار

تربي على غضبه وتسلطه وعدم الحرية

والده زرع بداخله الفساد.. وأمه تصلح بقوة محارب

وهو بينهم يسير نحو الهاوية..

* * *

كانت ومازالت حبيسة غرفتها، لا تريد أن تأخذ العزاء من أحد ولا تريد أن تقابل أحد يكفي تلك المظاهر

لا تأكل سوى لقيمات بسيطة ثم تضرب عن باقي الطعام، ظلت على حالتها هذه حتى جائت

إليها أختها الصغرى تخبرها بوجود سيدة تريد مقابلتها خصيصًا

بدت متعجبة كثيرًا من الأمر لكن ستكون مثل غيرها، سمحت لها بالدخول؛ تدلف امرأة وجهها عزيز يكاد يخجل القمر من جمالها، كبيرة في

السن لكن أمام سكون ملامحها لا عزاء للسن

جلست المرأة بجانبها بصمت ثم بادرتها بسؤالها الذي شعرت "شموس" أنها ليست أي امرأة:

- مدام مش زعلانه على أبوكِ حابسه نفسك فى اوضتك ليه؟

تعلقت عينيها بوجه تلك السيدة الحسناء، لترد بوجم:

- وأنتِ مين أصلا!

- أصلا!

ملامحه تلك السيدة تحمل لها ذكرى لا تنساها أبداً، حاولت نفي تلك الأفكار ولكن هيهات لا العقل يسعف ولا القلب يخبر أن تلك الملامح يمتلكها هاجر قلبها

ضمت شفتيها بارتجاف أصابتها في محاولة بائسه لتتحدث وتعلم عن هوية تلك المرأة:

- أنتِ زوجة "ماهِر الرافعي"!

انقشع وجه السيدة وقد قاربت الوصول لمبتغاها لتقول مكملة:

- ووالدة " أويس" أتتذكرين؟

أويس!!

هل نسيت أويس وإذا نساه عقلها هل يتفق

القلب ويفعل؟

لا لن تنساه، جريح قلبها هذا لن تنساه

من عصم الحزن في ردائها لأعوام وهجرها

لن تنسى أويس أبدًا

ومن ينسى أويس؟ ذلك الذي تغني الطرق

بغزله

الذي شهد الأرض خطواتهما المدللة

الذي شهد السماء وربها أخر بسمه تركها على

وجهها

ولكن! مهلًا!!

لقد هجر فؤادها كما هجرها يومًا

لم يعد أويس الروح والهوى!

لم يعد أويس حبيبها ومن يدللها

لا تبكي، لا تبكي!!

هكذا حدثت نفسها، لا تبكي على من هونتِ عليه يومًا، لا يستحقون بكائك، جعلوا من اسمك معنى مضاد يلازم حياتك!!

عادت ببصرها إلى تلك المرأة عقب شرودها ثم قالت بنبرة عدائية:

- ويا ترى ابنك هو اللي باعتك؟ ولا اللي جارر البلد فى جزمته وبيطوح فيهم يمين وشمال زي ما هو عاوز!

كانت تتوقع عدائها ولم تلومها، ضغطت على كف يدها ثم تمهلت في حديثها ببطيء وحكمة:

- أنا مجتلكيش علشان اشيلك هم فوق همك يا بنتي، شموس اللي اتحملت فوق طاقتها وواجهت الدنيا ميلقش بيها الضعف ده!

تعجبت من حال تلك السيدة تدمج الحديث

بالجمع وكأنها تقول أنا لم أتوقف على ماضي بل أكمل طريقي، امرأة غيرها كانت تمدح ابنها بل ستخلق الأعذار له، لهذا لم تتهاون لسائلها بحيره:

- إنتِ بتتكلمي كده ليه، توقعت تبرري لإبنك اللي عمله!

هزت رأسها موضحة:

- لا ابني غلط و يصلح غلطه، اللي جرح يداوى

بنفسه مفيش جرح بيداوي بإيد غريبة!

هزت رأسها وقد شهدت أن تلك الجلسة ستروق لها كثيرًا، استطاعت "رحمة" وبجدارة أن تعيد تلك الأحجار التي سقطت من مكانها؛ لتستعيد "شموس" البعض من قوتها

والأمل ينبع كالدم داخلها.

* * *

مازالت المهدئات تعانقها بقوة، لا راحة لها مع ذلك العالم القذر

لازال عقلها صغير لتستوعب تلك الندبة التي ضربت حياتها

بعض من مشاهد حياتها السابقة تتردد على عقلها وتصرخ

يصرخ بقوة مستغيثًا بأحد؛ ولكن لا أحد

تتذكر كم من مرة طلبت فيها الرحمة ولا تنالها

كم مرة صرخت بوجه العالم ليقابلها العدد من الصفعات

صفعات تشبه السوط تجلد روحها قبل وجهها!

تتشبث في أي شيء لتعود إلى الواقع ولكن

الرفق لا يليق بمثلها

حرب!!

هكذا تخوض نومها فى حرب

ليس حربا بين القلب والعقل وما شابه!

بل روحها وعالمها

خيالها وواقعها

لا تستطيع التحمل هذا أكبر من تحملها!!

صرخة!

صرخة واحدة هزت أرجاء الغرفة لتفيق على أثرها

تكاد تجزم أن روحها خرجت مع تلك الصرخة!

دارت بوجهها الغرفة لتجد الممرضات يدخلن عليها بلهفه وخوف

حدثتهم برجاء وثقل يصاحب لسانها تقول:

- كفايه مهدئ ارجوكم!! كفايه تعبت

تعجبوا الممرضات من طلبها هذا لتطلب

الخروج إلى الحديقة، تختلي بنفسها بين

الخضرة.

تلك الخُضرة التي شهدت طفولتها وبرائتها قبل

أن تدنسها الحياة

بالفعل لبوا طلبها بناءًا على تكفل الطبيب

"متين" صحبتها.

انتهى بها الحال في الحديقة الفارغة من الناس

وهو جوارها

صمتت ولم تتحدث ولا تريد أن تسمع لأحد

حافظت على مسافة بعيدة بينهم هي تهاب

الرجال ولا تثق بهم

قطع خلوة صمتها سؤاله المغلف بغموض

قائلًا:

- ناوية لما تخرجي تعملي ايه؟

ضمت شفتيها في محاولة لإسترداد قوة بائسه لها

ولكن تلك القوة يجب أن تكون في المكان الصحيح وليس له!

عقبت حديثة نبرة شابتها مرارة لا تفارق حديثها تقول:

- واللي ذيي ليهم حياة؟

- مدام بتتنفسي يبقى ليكي حياة

هزت رأسها بقوة و يستحضرها مشهد من مقتطفات حياتها لتقول:

- الحياة لمن يملكون النفوذ والسلطة، لمن يملكون القوة لا لمن خلقنا بفطرتهم ضعيفات

ليكونن ضحايا مرضىٰ!!

حديثها الفصحي، لامس ماضيه لتطعن ضميرة توقظه من سكونه المميت، استمع إلى باقي حديثها تهتف:

- يومًا.. يومًا ما سأخرج من هنا وسيبدأ عهد جديدًا لي ولكن مع من وكيف ننتظر الزمان يخبرنا وربَّ يومًا تلقيني هنا مرة أخرى

- هذا الزمن مليء بالمرضىٰ النفسيين ومنهم من قصتهم ابتدت ومنهم تُعاد يجلدها بسوط أقوى ثم تلقي بهم كالقمامة في مكان أخر عند أناس أخرى ويبقى السؤال هنا، هل سيجدون معاملتنا أم لا!

كلماتها أصابته وكأنها تقول له "أنظر لنفسك نحن نشبه بعضنا"

ترك والدته وإخوته لأجل النفوذ!

أصبح وحيد كالدمية

ولا عوده من طريق الهلاك!!.

* * *

كانت تجلس في الغرفة الخاصة بالمُدرسين شاردة

شاردة في مُستقبل عائلتها المجهولة

شاردة في إلى أين يأخذهم الزمان!!

ودت لو كانت تمتلك الجرأة لتقف أمام أخيها تعيده إلى حضن والدته الذي ضربته قسوة الاشتياق

ويبقى السؤال المُهم هنا

"كيف ستدبر مصاريف أخيها ووالدتها"

الدروس الخاصة تستنزف جهدها وعقلها فقط،

الناس يعاملونها بعشم زائد وينقصون من الأجل!!

استمعت إلى صوت جلبة بالخارج لتخرج سريعًا نتيجة ارتفاع الصوت

كان رجل يمسك ابنه ويتحدث بغلظة مع المُدير وهيئته تدل على غناه، وبيده يمسك طفل دققت فى وجهه لتتعرف على هويته

هذا "والد مُدَّثر"!

تقدمت إلى الطفل ثم قالت بنبرة دافئة:

- ماذا يحدث يا مُدّثر؟

وكأنها طوق النجاة له ليتمسك في كفها برجاء أن تنتشله من ذلك الموقف، ربتت على كتفه باطمئنان ثم تحدثت قائلة:

- بتزعق ليه يافندم مينفعش تزعق قصاد

رمقها بنظرة مُشتعله ثم أقحمه باردة قائلًا:

- ومين أنتِ علشان تقوليلي اعمل ايه ومعملش إيه!!

هزت" ندى" راسها باستنكار مردفه:

- لو مش قادر تتحكم في غضبك يبقى ماتقفش قدام طفل وتزعق ده يرهبهم، أنتَ بالطريقة دى بتكرهه في صاحبه وتحرجه، مش هقولك تعمل ايه ومتعملش ايه بس يكون فيه وعي عن كده!

تكاد تجزم الآن أنها ترى عينيه تحرقها، قبض على فكيه في محاولة تمالك أعصابه، تلك السمراء التي استطاعت أن تشعل الغضب بداخله وتأجج الماضي بعقله، همس ببطء

أخافها بشدة ليقول:

- الكل برا.

لوهلة شعرت بالخوف من هذا المدعي "مروان"

خرج الجميع ومعهم مدثر ليبقوا سويًا بداخل الغرفة وحدهم فقط

اقترب منها "أيوب" بغيظ مكتوم داخله، بعد أن شملها بنظرة سخرية لامستها.

بينما هي كتفت يديها أسفل صدرها تنتظر حتى يخرج عن صمته المبالغ ويتحدث كما زعم!

أخيرًا حرر حبل صوته ليبدأ بالحديث هاتفًا:

- المدرسة اللي واقفه تترافعيلي فيها عن الأخلاق بتاعتي يعني ممكن وبكل سهولة أرفدك بدون تفكير!

للوهلة خافت على مصدر رزقها، من هيئته وجبروته لا يفكر ثانية ورفدها!!

تنحنحت ثم أردفت بخفوت:

- بص انا اه بعتذر يعني وكده هو أكيد إنتَ حر مع أبنك مال متوفيين أهلي معرفش والله براحتك خالص

هذه السيدة تثير ضحكه!!

لماذا؟

لم ترأف بـ" مُدّثر" والدته هل سترأف هذه؟

لا لا هؤلاء النساء مكرهم يشبه وجههم لا يجب التصديق.

رفع سبابته في وجهها بتحذير جلي قائلا:

- آخر مرة!!

- حسنًا..

النساء ليسوا بتلك الوداعة! ما شأنها هذه!

ألم تجادل معه في البداية؟ إذًا لما كل هذه

البراءة!

أفق يـ "أيوب" هذه من نسل النساء الماكرات!

لا ينطلي عليك برائتهن، أفق!

* * *

تجلس في المُدرج الخاص بها في أولى

محاضراتها تنتظر الدكتور

شاردة، باهتة

حزينة، غير سالمة الروح!

خدشت الحياة روحها و دنستها بحق!

تنظر فى هاتفها تارة وأمامها تارة

قطع شرودها دخول الدكتور!

صدمة!

حقًا صدمة بل شيء أشبه بالشلل أصابها!

هذا تعرفه ظهرًا عن قلب!

"مراد سالم"!

تمالكت دهشتها وتصنعت اللامبالاة بحرفية.

هو مثل الرجال لا أمان لهم ولا وفاء!

يأخذون ولا يعطون!

أما هو فكان وجودها على علم به، ينتظرها وينتظر ذلك اليوم تحديدًا حتى يراها ويملي من عينيه بها.

بدأ المحاضرة وعينيه عليها وهي لا تنظر له ولو بنظره.

تحارب نظراته بجمود يؤلم بحق!

انتهت المُحاضرة التي استوعبتها بالكاد لترى نفسها وحيدة داخل المدرج، وحدها فقط!

تحرك بخطاه يقف أمامها بلوعة واشتياق

يخرجان من جوف عينية بلا خجل

هو، أول من علم مأساتها وأول من خذلها

أول من غزا بِكر قلبها وأول من تركها ذليلة

لماذا عاد يا تري؟

من عاد لها ثقتها في الرجال وأول من دمرها

كانت هشة تتمسك في الحياة بضعف ولكن

تتمسك! والآن باتت مكسورة، حزينة، تجلس

فى قبرها

دفنته مع ماضيها وضعفها، دفنته مع ذلك

الجزء الغير مرغوب فيه في حياتها!

هي تستحق الأفضل! لا تقبل بالإهانة!

لا لن تسامح يجب أن تغادر الأن، يجب أن

تصمد لأجلها!

وكأنه قرأ الصراع الناشب داخل عقلها ليتقدم في خطواته، يقف أمامها وعيناه تفضحه مدى عجزه!

لا يعرف ماذا يقول!، عاجز عن الكلام والاعتذار!

عاجز أمام عينيها التي لا يعرفها كالسابق؛ بل داخلهم امرأة تحررت من سلسلة الحياة لتنطلق بقوتها

يخشى فقدانها ولكن كيف وهو من قدمها قربانًا للموت!

عن أي خوف يتحدث!

تمتم بصوت منخفض يحمل اللوعة فى نبرته قائلًا:

أمنية

ألا يشعروا بها يومًا! ماذا يريدون!

يجيدون وبمهارة اللعب بها كالكرة ثم إلقائها كـ حشرة!

ارتدت قناع البرود والقسوة قائلة:

- خيرًا يـ حضرت؟

كان متوقع ثورتها، غضبها، عصبيتها، لكن برودها هذا يشكل خطر عظيم! لا يستطيع مقاومته

- آسف!

مُضحك، يعتذر؟ لماذا يعتذر! ما هذه الترهات!! تكاد تصيب بالجنون! هزت رأسها بغيظ كتمته داخلها ثم تشق طريقها للمغادرة، هو أحمق ولو أضاعت وقتها معه تصبح أحمق منه!

بينما هو غارق في أفكاره، ماذا يقول لها هل

ستوافق على كما يقولون بالعامي "رد سجون"؟

بعد وابتعد عنها لتبقى نقية القلب كما عاهدها

ولكن بدت قاسية بشكل مخيف!

لأي شاطئ سترسى سفينتك يا"مراد" لأي بَر ستقف!

الفصل الثالث

"وفي قصصهم عبرة!"

تمشي على استحياء داخل قريتها، مُنذ وفاة والدها وهي لا ترى الشارع ولا الشارع يراها

والأن تخرج لتلحق بشيخها

كما عهدته جالس بين الأطفال يعطيهم من الكلام ما يكفيهم لأعوام، ومن الخبرة ما يجعلهم أثرياء!

العلم ليس له ثمن يقدره بل نحن من نقدر شأنه وعظم مكانته وليس كل جاهل عالم!

لفت انتباه عينيها تلك الشجرة، تحفز عقلها تلقائيًا لذكريات قديمة تضمهم سويًا

.Flash Back

تقف بدلال أنثوي لا تتخلى عنه يوم، تقف أمام

عينية المحببة لها بنظرته السوداء، تطالع وجهه تحفظه بدقه، كل ملامحه تحفرها داخلها بتحفيز قوى

هتفت بعاطفة أطاحت به أسفل الأرض قائلة:

- هل ستظل على وعدك؟ لا يفرقنا شيء؟

احتوى كفيها بين يديه ثم هتف بوعد:

- لا يفرقنا إلا الموت، أويس وشموس!

^..Back

أين الوعود وأين الوفاء؟

أين الصدق والأمان؟

أويس!! كلما مر برأسها ذكراهم تتأوه بألم يغرز في قلبها

تمتمت بعينين تفيضان حنين وشجن:

- لم تعد الوعود وعود، ولم يعد اللقاء بَعد!

استكملت سيرها نحو العجوز بتباطؤ شارد

جلست أمامه دون كلمة تحني رأسها وتود فى

تلك اللحظة لو تجد حضن صادق ترمي نفسها

داخله تشكي له عن مأساتها وقسوة الحياة

عليها

تشكي كم تمنت أب يحتويها من جبروت الحياة

وظُلمها

أب يكون أمانها عند الخَوف

أب يكون رزقها وقت الفقر

صامته وروحها تشكي

صامته وعينيها تتألم

البُكاء!!

هذا الاسم أبعد لها من الحلم البعيد!

أنهى الشيخ الدرس مع طلابه ثم استدار برأسه

تجاهها، قائلاً:

- أخيرًا خرجتي من سجنك؟

أسبلت بعينيها ثم قالت بهمس:

- أنا مش بخير ولا الأيام بتعدي ولا بتداوي!

تطلع الشيخ للفراغ مُضيقًا عينيه ثم أخذ يسرد مقتطفات من قصص الأنبياء اللهم صل وسلم وبارك عليهما قائلا:

- كان لسيدنا "أيوب" عليه الصلاة والسلام زوجة طيبه جميله اختلف العُلماء فى اسمها ولكن رجحوا "رحمه"، زوجة أيوب كانت وفية مخلصة لزوجها، عاشت معه وفية بإخلاص في السراء والضراء، وصبرت على فقر ومرض زوجها، ووقفت بجانبه ولم تتخل عنه لحظة بعد ابتلائه، وكانت اضطرها شدة الحاجة

إلى التسول وسؤال الناس، وقد ألجأته شدة الحاجة إلى أن تجذ شعرها وتبيعه للحصول على طعام بثمنه لزوجها، وعندما بدأت المضايقات من الأغنياء لشدة جمالها طلبت من سيدنا أيوب أن يدعي ربه يرفع عنه البلاء!

غضب سيدنا أيوب وتوعدها بالضرب مائة سوط!

بدأ الاندهاش على وجه" شموس "ولكن ظلت مهتمة لمعرفة باقي الرواية؛ في حين استكمل الشيخ كلامه بابتسامة مشرقة أينعت شيبته:

- في لحظة وحدته وآلامه الشديدة دعا ربه قائلًا: "أني مسّني الضر وأنت أرحم الراحمين"، وبالفعل كشف الله عنه الضر ووهب له عافيته، فرحت السيدة رحمه

وعاتبها زوجها على إلحاحه عليه واحتار في أمر الضرب، لقد توعدها فأوحى إليه الله تعالى بفتوى يبرّ بها قسمه، فقال له: "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"

وكان جزاء الصبر يا "شموس"

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ"

أغمضت عينيها وارتجف قلبها أثر العظمة التي تكمن في القصة، صبر على الابتلاء ولا يبتلي إلا المؤمن ولكل ابتلاء وآهٍ يشكو منها العبد يؤجر عليه!

ختم حديثه بقولٍ لها:

- أدعي ربك يخفف عن قلبك ويحننه على اللي

مات، ابنه تبره حتى لو كان أب عاق لكن هو دلوقتي بقي بين يدي الله العدل، المُنتقم

قوله - تبارك وتعالى: وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ.

ارتجفت شفتيها أثر البكاء، الكلام يربت على قلبها بحنين

تلك القصص التي سمعتها كثيرًا منذ ان كانت صغيره الأن علمت أهميتها

شُحنت بصبرٍ عجيب

وتداوت بكلام الحبيب

وما أحب الكلام كلام الله للقلوب!!

* * *

كُل السُبل لعيونك مقطوعه، فين أراضيك يا

حبيبي!

الخَبر كالنقطة الفاصلة في حياته التي يسعى لها

بقوة، في غُربته تزوج ليقضي حاجته كـ رجل حتى لا ينغمس فى المحرمات

أعطاها حقها كـ زوج وزوجه حتى لا يحمل ذنبها فوق عاتقه

والآن تخبره بتلك الصدمة الحقيقية "حامل يـ أويس"

الآن أويس يود لو يضرب نفسه

أو يقتل نفسه!

رفع عينيه للسماء الصافية بتأمل هامسًا:

- أصبحتِ مِثلَ فلسطِين، وأصبحتُ أنا جلادِك؛

كيف الوصال إليكِ! وأنا سبب خرابِك.

الفصل الرابع

هناك شُعله تتقد في منتصف ظهري لكي تدفئ

أيامك ولكنها تؤلمني

"بنت آل يحيى"

أصبح خبر الحمل كالنار فى الهشيم يوقد بقوة

حارقًا الأخضر واليابس

العاشق والكاره

المنتظر والملهوف

أصبح الخبر على مسمع الجميع، لا يتفوهون

سوى بكلِمَة واحِدة:

"ابن العُمدة هيجيب الوريث، ابن العُمدة طلع

متجوز في الغربة!"

الأقاويل تتداول وهناك عيون تكون بالدمع

وقلوب تحترق بقوة

الآن بات متيقنًا أنه خسِرها للأبد

فعل بهِ والده هكذا رغم عدم رضاه لكن يكفي

أنها ستبعده عن ابنه وتكسر أخر أشواكها..

هي تكوى من ألم قلبها

الدمع ثقيل عليها

كل ما يحدُث معها كثيرٌ جدا

تبكي على فراشها لا تقوى على الخروج، باتت تكره الشوارع وكل زاوية تذكرها به، أمسكت هاتفها بأيدي مرتعشة ثم شغلته على سورة "يوسف"

السورة المحببة والمقربة لقلبها والتي منحتها الصبر والقوة في وحدتها ومعاناتها مع أبيها، أراحت وجهها على الوسادة بتوهان وخمول مُتعب، دموعها تنزل بصمت بينما كامل

حواسها معه

كيف له يفعل ذلك، كيف هانت عليه بتلك السهولة!

كيف دهس الماضي والذكريات ليحقق غروره وتصبح هي الضحية.

أتاها يكون ملاذها في منزل الفقدان والوحدة التي تسكنه ليذهب ويذهب معه المنزل وكل شيء كان يحتويها

همست بألم نابع من جوفها قائلة:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}، رحمَاك يارب رحماك.

* * *

وقف بغضب العالم أمام والده لا يهتم أنه أمام

من بل هي فقط أمام عينيه، يعلم ما تمر بهِ الأن

وبما تفكر به وبات متيقنًا أنه خسر الحب الذي حصدة طيلة حياته بسبب تهور منه

- ازاي تنشر في البلد أنه هيكون عندي ابن؟

شمله والده بنظرة تحمل السخرية والمكر ثم قال:

- هه خايف على مين؟ ده حتى واحد غيرك كان فرح ابنه هيكون وريث عائلة "الرافعي" غيرك يتمناها يا ابن ماهر!

تمالك "أويس" غضبه بأعجوبة، يكاد يقسم إن ترك نفسه عليه ليبرحه ضربًا حتى الموت، هو لا ينفك على مضايقاته وكسرة باستمرار، بينما هو يشعر وكأنه فى دائرة مُغلقه كلما وجد

طريقه يأتي أحد ليضل الطريق من جديد،

همس بغضب دفين قائلًا:

- ابعد عن حياتي، لأخر مرة ابعد عن حياتي واللي يخصني عشان اقسم بالله العظيم هتندم وهنسى إنتَ مين.

وضع "ماهر" يده على كتف "أويس" ببرود مُستفز ثم قَال:

- تؤ مش بمزاجك!

رمقه "أويس" بنظرة حارقة ثم غادر نحو مكان كان يجب أن يذهب إليه منذ زمن بعيد، إلي حيثُ هي، جرحِهِ ودوائه، طريقه وضلاله، حيث شمسه، شمــوس!!

* * *

قوة اكتسبتها مع الأيام تحارب بها وتهدم فوق

رأسها، قوة كلما زادت كلما دفنت بسببها، والدتها!!

نُقطة ضعفها والجرح الذي تكوى به دون رأفه تُهان وتسمع ما لا يُطيقه الأذن لأجلها فقط تضع رأسها على رچليهَا تستمع إلى أخر معاناة والدتها فى هذا المنزل اللعين، ختمت والدتها الحديث بقولها:

- والفرح قرب ومش عارفه اعمل ايه واجيب حتة قماشه اعملها جلابيه للحنه ولا عباية للفرح ومفيش فلوس وهو ولا سائل فى صحة أهلي حتى قوليلي اعمل ايه يا بنتي

ربتت "أمنية" على رچليهَا برفق قائلة:

- امبارح صاحبتي كلمتني ولقيتلي شغل وطلبت منه اقبض مقدم وكده وهنزل من بكرة

الشغل

زوت "والدتها" حاجبيها بضيق قائلة:

- ومعهدك يا "أمنية" ومحاضراتك!!

ابتسمت "أمنية" بإشراق ثم قالت بإطمئنان:

- متقلقيش هخلى المدير يكتب لي ورقه على الشغل وكده وهسلمها للعميد والمحاضرات هتجيلي لحد عندي متشليش هم بس

ضمت "سميرة" رأس إبنتها إلى حضنها وقلبها متعب لما تعانيه صغيرتها في ريعان شبابها

تحملت!!

تحملت وتتحمل وستتحمل لأجلها هي فقط النقطة التي يحاربونها به

ولكن ستصمد وتتحمل لأجل والدتها فقط..

قطع شرودها صوت والدتها الحذر مرة أخرى تقول:

- عرفتي انه مراد رجع؟

تشنجت ملامحها بضيق ونفور واضح تبغضه وتبغض سيرته واسمه وكل ما يتعلق به

علقت على حديث والدتها بضيق:

- والمفروض اعمل ايه؟

- يابن..

قاطعت والدتها بحزم وغضب لم تستطيع السيطرة عليهم، مجرد سيرته وكل ما يتعلق به يغضبها؛ بل يثير حفيظة غضبها:

- متتكلميش معايا فى الموضوع ده تاني لو سمحتِ ياماما

صمتت "سميرة" أمام غضب ابنتها، لم تقوى على الحديث أو جدالها بعد، يكفي ما بها وما تتحمله..!

* * *

"يا عالم لم يعُد يتسع لي

يا سجنٍ سجِنَ فيه أحلامي

يا روح تتألم ببركان

و يا عدل أنتظره

أين السلام لهن أين!

متى يسع العالم لي؟

متى ستُحرر أحلامي؟

متى يهدأ قلبي؟

متى أقف عند الميزان أخذ حقي؟

ومتى اتهنى بالسلام!!"

كلمات أشبه بالجُمر المُشتعل يهب داخلها كلما تنفست من الحياه

تدونها في مُذكراتها ويختمها بصمات من قلبها وحفظها العقل بغلظة الليالي

تساقطت قطراتها كحال أحلامها التي دفنت في ريعان شبابها وغزا الشيب عُذرية عالمها..

لم تعد تقبل بوجود الدكتور "متين" جوارها أو يعالجها

بل لم تعد تسمح بأي طبيب ذكر يقترب منها ولو صدفه

الرجال!!

تكرههم وتبغض سيرتهم

لم تطيق ذِكر أية شخص يُدعي ذكر!

واقعيًا

هي قابلت الكثير والكثير من الذكور بل لم يعدوا على أصابعها من كثرتها

لكن لم تقابل يومًا رجل يحمل سمات الرجولة

رجل يدفئها فى عز البرد رغم حدة ملامحه

رجل يطمنها حين تخاف ويدثرها بحضنه

رجل يكون أمانها وفارس أحلامها

ولكن!! لا يوجد ولن يوجد بعد..

أفاقت من تأملها للكلمات التي تدونها داخل مُذكراتها الخاصة على صوت دخول الدكتورة "سيا" إلى الداخل

سيا التي أخذت "شهد" غريمتها وصممت أن تمسك حالتها مدام رفضت متين، جلست سيا على الكرسي المجاور للفراش ثم اقتربت بوجهها من شهد قائلة:

- كيف حالِك اليوم يـ صغيرة؟

بدا الانزعاج كثيرًا على وجه شهد لكن كظمت غيظها وكتمت غضبها داخلها أمام تلك الشمطاء التي لا تتهاون في فرصة تجعلها تغضب

لم ترد شهد ولن ترد بل تركتها لنفسها دون قيمة!، تصفحتها سيا بعين طبيبة وليست غريمتها تقول بلهجة عملية غريبه بالنسبة لـ شهد عن طبع سيا، قائلة:

- حالتك في تحسن ملحوظ بقالك أكتر من سنه وناقصه خطوة كمان ونبدأ العلاج الفعلي بقا

نظرت لها شهد بتساؤل وقد بدأت مخاوفها تراودها قبل أن تعلم لماذا، أكملت سيا قولها بترقب شديد:

- ناقص تختلطي بالبشر الصنفين سواء ست أو راجل، تبدأي تتعاملي مع المواقف وتواجهي مصيرك هتخرجي من هنا والخطوة دي لازم تقابلك!!

اسبلت بعينيها بخوف وودت لو تتحكم فى أنفاسها المضطربة لكن تلك الجالسة امها تسمعها، استمعت إلى باقي القول قبل أن تصل إلى أعلى درجات الخوف:

- متخافيش هيكون فيه تجمع في حديقة المستشفى والحالات اللي زيك واللي عندهم رهاب اجتماعي هيكونوا موجودين ودي فرصه ليكي تشوفي الجانب التاني من الناس!

وجه أخر للناس!!

عن أي وجه تتحدث!

لقد رأت ما يكفيها من الناس وشرهم هل بقى

لها طاقة تري وجه آخر!!

هذا جنان!!

حقا جنان

لم تتركها سيا بل ظلت خلفها حتى تقتنع

وتتغلب على خوفها وحساسيتها من الناس!

* * *

وقف أمام المنزل الذي طالما تمنى أن يقف

أمامه ويدق بابه طالبًا يديها ولكن الأيام لم

ترضي عنهم بعد ولن ترضى!!

يقف على جمر من الشوك ينتظر أحد يفتح

الباب ولم ينتظر حتى وجد الباب يفتح وتطل

من خلفه!! شموس!!

الفصل الخامس

"المواجهة المُنتظرة"

وقف أمام المنزل الذي طالما تمنى أن يقف أمامه ويدق بابه طالبًا يديها ولكن الأيام لم ترضي عنهم بعد ولن ترضى!

يقف على جمر من الشوك ينتظر أحد يفتح الباب ولم ينتظر حتى وجد الباب يفتح وتطل من خلفه! شموس!

تلجم الكلام على لسانه وذهبت الحروف كالرياح

يرجوها أن تعود ولكن في حضرتها تخضع الثماني وعشرون حرفًا

وقارًا لمن تغزل فيها الحروف وعظم شأنها وهيبتها

أمامه امرأة قوية!

داخل عينيها أمواج متأهبة لتغزو الأخضر واليابس

امرأة شيبتها قسوة الأيام وبكاء الليالي واشتياق الأحبة

امرأة تعلم جيدًا تواجهه الجميع

تلك هي شموس!

شمس حارقة، تحرق من يقترب لها

وتعطي الدفء لمن يحتاجها

وأول من ستحرقه هو نفسه أول من أعطته القوة بقوتها

خرج منه همس ضعيف جعلها في أهب الاستعداد له:

- شموس!

هي لم تكن في أفضل حال عنه بل كانت تحترق حرفيًا من الداخل

رؤيته أمامها بعد غياب طويل أجج النيران بداخلها

نار اشتياق؟ أم نار الكُره؟

هي تشتاقه! تكذب لو أنكرت ذلك

مازالت تشتاق وجهه المليح الذي يزينه ندبه خفيه كانت سببها

تشتاق عينيها اللذان يشبهان العالم في وسعهم وأيضًا في غربة من يدخله!!

قلبها يشتاقه وعقلها ينكره وبين ذاك وذاك هي تغرق!!

غلبها عقلها ليذكرها من هو!

هو أويس الذي تركها خلفه رضاءًا لغروره

هو أويس الذي أحل لجسده امرأه غيرها

لينجب منها

هو "أويس"

فاقت من دوامة مشاعرها وشرودها على

صوته مرة أخرى يقول:

- شموس هفضل واقف على الباب كتير؟

لوت شفتيها بابتسامة ساخرة، ثم قالت بتهكم:

- لحقت تنسي الأصول يابن الرافعي؟ ملكش

حق تدخل بيت وفيه ستات من غير راجل!!

زرى حاجبيه باستياء مرددًا:

- وأنا مش أي حد يا شموس!!

مالت برأسها بتهكم ثم قالت بثقه أدهشته حقًا:

- تؤ إنتَ أقل من أي حد يا "أويس"!

قوتها أدهشته

ثقتها صدمته

وأخيرًا ردودها ألجمته

من هي!! لم يعهدها تناطح أحد من قبل!

هل جرحها لتلك الدرجة!!

يسأل! حقًا يسأل!

قطع شروده صوتها الذي أصبح بعدما تتدلل بهِ يبغضه!:

- صحيح عرفت إنك هتبقى أب قريب، من كل قلبي بتمنى أنه يتربى صح مش هيكون الواد وأبوه!!

زمجر بغضب من إهانتها الفظه وتبجحها في وجهه؛ وكأن تلك لم يتركها إلا لتربيه هو!

تهينه بشكل مُباشر في وجهه دون أن يرف لها جفن!

رفع سبابته في وجهها بغضب دفين ثم قال:

- إياكِ والغلط فاهمه؟ طول السنين اللي فاتت مسألتيش نفسك ييتك ليه؟ هقولك حاضر، لإنك يا شموس متصلحيش يكون ليكِ دور فى حياتي...اديتك كتير لكن أخدت مُقابل؟ لا دافعت عنك كتير صح؟ هل مش من حقي أعيش حياتي؟ هفضل مربوط بيكي وبعقدتك لإمتي؟ المفروض اجيب منك ولاد إنتِ أمهم ازاي؟.. فاقد الشيء لا يعطيه وإنتِ صعب تدي وإنتِ فاقدة كل حاجة!

كلماته كالنصل يغرز بقوته في قلبها، هل جزاء البوح بالجرح هو المُعايرة؟ هل أذنبت لأنها باحت بما يكوى صدرها له؟

لم يكن أمامها سواه لتحكي له!

كيف يعايرها هكذا!

وتسأل نفسها نفس السؤال، أين أويس حبيبها؟!

جرحها ينزف بقوه، عقلها مشتت وقلبها يبكي!

استجمعت شتات نفسها بمعجزة، ثم نظرت في عينيه نظرة ذئب جريح يطفو على سطح الحياه، نظرة امرأة حاربتها الظروف لتواجهها بكل قوتها

هو نادم على ما باح بهِ

يعترف أنه أذنب بحقها

تحدث بما لا يجب أن يتحدث به

ليس ذنب الإنسان أنه إنسان

نحن حقًا مُدينون للظروف، عرفتنا من الحقيقي... ومن المزيف!

تمسكت بالباب بصلابة ثم رفعت عينيها داخل عينيه بتماسك، ثم قالت:

- غلطان يا سيادة المُستشار، فاقد الشيء يعطيه وبقوة لكن للي يستحق بجد! إنتَ بقا تستحق؟ هه لا

رفعت إصبعها أمام وجهه ثم عقبت قائلة:

- اما أنا شموس السعيد اللي لا بتقف على حد ولا بتهزها راجل هتهز منك إنتَ! شمسي بتحرق وحرق بموت فاهم صح؟....فإياك ثم إياك تفكر تقرب مني في أي مكان يجمعنا، لو كانت حياتي بتقف على حد تبقى غلطان...لو فاكر إني هبكي عليك تبقي غلطان اوى...أنا وفيت ليك و استنيتك لكن صدقني مش ندمانه بعض الدروس بداية لحياة جديدة مع ناس

تستاهل، هل إنتَ شايف نفسك تستاهل قلب شموس؟ لا، لو وقف في يوم كبريائي قصاد قلبي هدوس على قلبي وهكمل!!

فور الانتهاء من اخر حرف حتى أغلقت الباب في وجهه، إغلاق بلا عودة، يكفيها ما عانته منه وإهدار لكرامتها يكفي حقًا!!

ارتجفت أطرافها وهي تقف خلف الباب، خانتها قدميها لتجلس محلها ثم انهارت في البكاء

ربما أخر مرة تبكي فيها

وربما هذا البكاء ينظف جروحها

وربما يعري قوتها المزيفة!

احتضنت نفسها بذراعيها تطبطب على كتفها في مواساة بائسة، تمد نفسها بالطاقة المفقودة وتحسها على القوة الغائبة، همست بألم نابع

من أعماقها مواسية:

- حقك عليا انا من الدنيا، متبكيش ياشموس

حقك عليا من الدنيا كلها.. حقك عليا!

خرج من عندها وشياطينه تلاحقه أينما حل،

ظلمها وقسى عليها، لم يرى سوا كبريائه

يُجرح أمام عينيه منها، هو الذي يجعل كبريائي

فوق الجميع وهي قبلهم!! غرورًا ويعلم ذلك..

*** * ***

تجلس في غرفتها وجع وكرب العالم كله على

عاتقها

قلبها ينفطر حزنًا وشوقًا لها

ابنتها!!

شهد!

بِكرها وحبيبة قلبها

البريئة والوديعة، شهد!!

ليتها تعلم لها مكان وتأخذ المسافات سيرًا

ليتها تعلم كيف تبدو، هل شفت من جرحها

العاجز؟

أين تعيش!

نبذوها من العائلة واعلنوا وفاتها لكن هي

تنتظرها بكل صبر العالم!

دخل عليها زوجها ليتحول قسمات وجهه

لغضب شديد قائلا:

- كل ما ادخل المخروبة دي الاقيكي بتندهيلي؟

ركعت أمامه بقلب أم تشتاق بحق قائلة:

- أبوس ايدك قولي بنتي فين قلبي واجعني

عليها نفسي اشوفها

ردّ عليها بسخطٍ وتهكم قائلا:

- اه بنتك الخاطية اللي بتنام مع رجالة وهي على
ذمة راجل؟؟

انتفضت بعيدً عنه بحسرة:

- اخس عليك إنتَ تصدق الكلام ده عن شهد، تصدق الغريب وتكذب تربية ايدك؟ شهد اللي طول عمرها طوعك ومش بترد لك كلمة؟ يخوض فى عرض بنتك يا كبير ياللي بتقعد في مجالس وبتجيب حق الناس وأنتَ ظالم بنتك!

رفع يده أمام وجهها ثم عقب بصرامة وحزم شديد:

- إياكِ اسمع اسمها في البيت ده تاني، لو مش عاجبك الباب يفوت جمل!

وتركها وتوجه إلى فراشه يدير ظهره لها، هو

قلبه ينفطر أكثر منها ويطمئن عليها لكن يخاف ايضًا على مكانته بين الناس

اما هي جلست مكانها تبكي وتدعي لإبنتها الغائبة عن الناس والحاضرة ساكنه داخلها.

* * *

- قوم وداوى جرحك بنفسك، لازم تتعلم ازاي إنتَ اللي تداوى جرحك وتقوم نفسك مش غيرك!!

يردف "أيوب" بتلك الكلمات أمام ابنه الصغير الذي ارتكب في نظرة جريمة كبيرة لمجرد أنه وقع عن اللعب ولم يستطع المشي على قدميه نظرًا لجرح ساقهِ

أيوب ذلك المتجبر على نفسه والجميع وولده، وأيضًا على زوجته الراحلة!

هو القاسي الصلب الذي لا يهمه سوى ما يراه هو ولا يبالي بأحد

أخفض "مدّثر" وجهه ثم قال بنبرة مهمومة:

- ممكن يوصلني لدرس ميس "ندا"؟

تحجرت عيناه عند ذكر اسمها تلك المعلمة سليطة اللسان!

نظر إلى ابنه دقيقة قبل أن يحسم قراره ويذهب معه بنفسه!!

دعا الخادمة لتجهيزه استعدادًا للخروج بينما هو ذهب إلى الحديقة ينتظره!

بعد مرور الوقت كان يقف فوق رأسها وهي منهمكة في كتابة شيئًا ما، أنتبه هي إلى شيءٍ ما وكأنه ظل أحد!

رفعت رأسها لتشهق بفزع عندما رأته هو ذلك

الضخم المغرور، يقف يحدقها بتلك النظرة المُرعبة، وقفت أمامه بسرعة ومازالت نظراته تحتلها فتشرعها بالاضطراب، نظرت بجانبه لترى الطفل مدثر يريد أن يأتي إليها لكنه خائف من والده!

تقدم خطوة منها ثم قال:

- ابني عامل اية في الدراسة؟

توتر مدثر من السؤال، هو مقصر معها في الدراسة بأكملها وهذا ليس بإرادته لا يوجد من يهتم به والخادمة تهمله وترهبه من أن يخبر أيوب!

قرأت خوف مدثر لتعتدل في وقفتها ثم قالت بنبرة مطمئنه له:

- متفوق في الدراسة وملتزم وبيسمع الكلام

متقلقش عليه!

تتهد الصغير بامتنان لها ليوزع هو نظراته عليهما، ترك يد مدثر ثم قال قبل أن يغادر:

- لو خبيتي عني حاجه تخص ابني، مش هرحمك!

توترت داخليًا من تهديده الصريح لها، تقسم أنه أوقح شخص عرفته في حياتها، يهدد ويرهب وكأن الكوكب ملك يديه!

صمتت لأجل الصغير ليستدير غادرًا المكان بأكمله بينما هي تقدمت من الصغير قائلة:

- أنا كدبت على أبوك علشان أنا شخصيًا بخاف منه لكن مستواك بينزل يا مدثر!

زم مدثر شفتيه ثم قال:

- مفيش حد بيذاكرلي ولا بيهتم بيا ولا حتى

بيفكروا والخدامة اللي مسؤولة عني بتخوفني وتضربني

- نعم! ازاي بتضربك وتخوفك إيه العبط ده!

ارتعش جسد الصغير ببكاء لتضمه إلى حضنها قائلة بنبرة غلبها الحنان:

- متخافش يا حبيبي أنا هفضل معاك و هعرف ازاي اربيلك الحرباية دي.

شدد الصغير من ضمته لها وكأنه يستخلص فيها كل الحنان الذي فقده منذ وفاة والدته طفل فقد الحياة واللعب والطفولة ليصبح أسير والدة المتجبر المغرور والخادمة السيئة!

الفصل السادس

"أحببتك كما لم يُحبَك أحد من قبْل،

عشقتك كما يجب أن يكُون العِشق!

وليتني لم أقابلك يوم"

الندم يأكل قلبها

والذنب يطرق على قلبها كالسيف!

ما أصعبه حقًا!

الندم على حُب من خيارك!

الدمع لم يغادر جفنيها، تكره البُكىٰ!

وتجبر نفسها على أن تبكي عقابًا لروحها..

المواساة على نفسها أصبحت صعبة على نفسها!

أين شموس القوية!

التي تتباهى بقوة لمعانها وقوتها التي تعطيها

للجميع ولم تأخذ مقابلها!

وجدت زراعين تضمها لترفع عينيها فتجد والدتها

البائسة الضعيفة.. التي لم تعرف للقوة عنوانٍ يوم

والدتها التي استسلمت لطاغوت الحياة لأجلها هي وأختها فقط!

استكانت بين يدي والدتها ثم همست بتعب:

- تعبانة أوى يا ماما، شموس بتموت بالبطيء

شدت والدتها من ضمتها ثم عقبت على حديث ابنتها باحتواء:

- حقك عليا أنا السبب انه يكون هو أبوكم و تعايروا بيه

هزت "شموس" رأسها باستنكار، ماذا يُعني

أن والدها غير صالح! هل هذا سبب كي تعاير بهِ!

هل كل شخص يملك أهل غير سويين يتم نبذهم من الحياة وممن يحبون!

لم يروقها تلك الفكرة بل لم تقتنع بها

من لا يملُك ماضي لا يملك حاضر وهذا ماضيها

الحبيب لم يعاير

الحبيب يسير مسافات

ويخطو ألاف الأميال

أويس العنيد المتملك لم يُحبها يوم!

بل تمرده وعناده هم من يقودون في الطرق بلا هوادة

وهي لم تكون البر أبدًا..!

وفي وسط الزحام لن تنسي أن والدتها السبب فيما تعانيه هي وأختها، عاشت حياتها في خوف

ولم تكتفي بذلك بل ورّثت ذلك الخوف لأبنائها رمقتها "شموس" بسخرية ممزوجة بقهرٍ ووجع، ابتعدت عنها شموس ثم قالت بسخرية لاذعة:

- بجد! لا والله بجد! لسه واخده بالك يعني وكدا؟ لسه مستوعبة إنك السبب في اللي كنا فيه وفي صدمتي واللي حصل من أويس!! لسه واخده بالك أن بناتك بقوا منبوذين علشان مرضىٰ نفسيين بسببك إنتِ وأبوهم؟ إنتِ دمرتينا لو مش واخدة بالِك يعني! خليتنا حد جبان يسمع ويسكت، يتهان ويسكت، يتسمح

بكرامتنا الأرض ونحط جزمة فى بوقنا، بهتم ونعمل ونستحمل ونسكت ولسه واخدة بالِك بإنك السبب.. إيه الضحك ده!

مِن المفترض أن تداوى والدتها في تلك اللحظة جرحها وتواسي حزنها؛ لكن حدث العكس والمتوقع منها لشموس، قالت بلوم مستفز:

- اسلوبك هو اللي كان قليل الذوق وكل ما حد يكلمك تردي بقلة أدب وبتردي الكلمة عشرة، مش كفاية اني استحملت قرفكم وخدمتي ليكم وتهزيق من أبوكم ها؟ عاوزاني أرد على مين ها على أبوكي؟ عاوزاني اقف واناطح وأرد الكلمة عشرة!! ده جوزي ومهما يحصل منه وهيفضل جوزي حتى لو جاب شبشب ونزل فوقي بيه برده جوزي!

رغم اعتياد "شموس" على سكوتها وإهدار حقها لكن تصريحها بأنها راضية عن ما حدث لها؛ لكن تلك المرة الأمر صعب جدًا، والدتها تضعها في خانة المُذنبة وهي الضحية لهم!

صمتت!

صمت يحمل وراءه قنبلة تتراكم الضغط عليها يومًا بعد يوم

حتمًا، سيأتي يوم وتتفجر فى الجميع وهذا المُخيف حقًا.

* * *

- أيوب اصحى يا حبيبي، أنا هنا

نظر حوله بتشتت بينما الصوت يزداد قوة ويختفي الأثر

نور بعيد يتجسد فيه فتاة شديدة الجمال، لم

يصعب عليه عدم معرفتها فتلك زوجته السابقة، والدة "مدثر"

نادته زوجته مرة أخرى لينتبه لها، أشارت له بيدها في زاوية ما، نظر حيث ما تُشير إليه ليجدها "أمنية" تمسك بيديها مدثر وتحمل فى اليد الأخرىٰ طفلة تشبه زوجته

أعاد بصرة حيث زوجته لتقول قبل أن تختفي نهائيًا:

- أنا بريئة، متسبش بنتنا.!

ابنة!

ابنة!

أفاق من ذلك الحُلم على صورة مدثر يجلس بجانبه ينظر له، اعتدل أيوب في جلسته باستغراب ثم قال ببحة أثر النوم:

- فيه حاجه يا مدثر؟

هز مدثر رأسه قائلًا:

- اه ميس ندا هتيجي تديني درسي هنا

انكمش حاجبي أيوب باستغراب ثم قال:

- وده ليه إن شاء الله؟ الخدامة مقصرة معاك

هز الصغير كتفيه بجهل:

- هو كده

نظر أيوب لأبنة بشك، هذه ليست طريقته بل أول مره يطلب فيها من مدرس أن يأتي البيت لِما هيَ؟

وافق على مضض لأجل طفلة فقط ثم قام ليذهب إلى عمله بينما ذهب مدثر بسرعة إلى غرفته يخبر ندا بموافقة والده على حضورها

كان أيوب يعلم ما يخطط له ابنه و يعلم من

البداية سبب وجودها ويأخذه فضوله إلا نقطة حمراء حرمها على نفسه منذ زمن وهذا ما لم يسمح بهِ ابدًا!

* * *

انتشر خبر زفاف "أويس الرافعي" كالنار في الهشيم

نار لم تترك أحد إلا وطالته!

الزفاف صوري لإعلان الكِنه الجديدة لعائلة الرافعي وزوجة أويس!

بينما تجلس "والدته" بتعبٍ شديد يغزو روحها بسيفٍ حاد

نار طالت والدته هي الأخرى!

للمرة التي لا تعلم عددها وقع بِكرهَا ضحية والده!

ما ينتظرك بعد يـ أويس، لقد أشعلت نارت في كل أحبابك، ما ينتظر بعد!

طرقات على باب منزلها تعلم جيدًا خلفه، لم يكن

غيره

فتحت الباب ليطل وجهه المتغرب عنها منذ زمن بعيد، تتمنى لو تضمه لكن جريحه منه، تتمنى لو تستنشق رائحته الغالية لكن حرمتها على نفسها عقابًا له هكذا تظُن!

أما هو فكان يهفو شوقًا لضمتها، يشعر بحنانها الذي فقده منذ عهدٍ بعيد

لكن عقابها على ما اقترفه بها وبتلك الأخرى غالي جدًا..!

تنفس بعُمق ثم قال بخفوت:

- ماما هفضل واقف كتير؟

ابتعدت عن الباب قليلًا ثم ضمت يديها أسفل صدرها قائلًا:

- لا يا حبيبي ودي تيجي ادخل

دلف أويس وشعور الفقد داخله ينبض بقوة، يريده أن يستعد وطنه والحضن الذي فقده منذ زمن، جلس على الأريكة وعينية مُتعلقة بوجهها.

جلست أمامه على الأريكة الصغيرة المقابلة ثم قالت:

- ألف مبروك على الجوازة ربنا يجعلها جوازة الهنا وتبقي أصيل معاها

زفر بقوة قائلًا:

- أمي ارجوكِ بلاش تلميحات ملهاش لازمه!

لوت والدته فمها بسخطٍ، ثم قالت:

- أمال إيه اللازمة عندك يا ابن ماهر؟ هقولك أنا مش هعتب لأن حب وبتاع من غير عنوان يبقى حب حرام وانتوا الاتنين غلطوا بس هي كانت زي الطفلة الملهوفة اللي بتدور على حد يطمنها ويحسسها بالأمان بس البركة فيك بقا دمرت الباقي منها.

زُهل من الإنتقاد الحاد عليه، هل هو بهذا السوء! لم يكن بينهما نصيب هكذا بتلك السهولة!

حقًا يسأل! صدق مقولة الإنسان الذي لا يُدرك خطأه هم أسوأ البشر الذين لا يجب معاشرتهم! وهو مثال يطبق عليه..

لم يتفوه بل لا يتكلم ترك والدته في حيرتها

منه، فضل عدم الحديث الذي يشعره كأنه يتعرىٰ أمام نفسه وهذا لا يقلبه على نفسه أبدًا!

الفصل السابع

النوم أفضل شيء عندما تشعر إنك شخص غير مرغوب فيه في الحياة، قد يظن البعض أن النوم هرب وجُبن؛ بل راحة وهروب حقيقي من زحمة الحياة وبرودها!

الظُلم تشفي لأصحاب النفوس المريضة ويرونه انتصارًا عظيمًا يستحق الاحتفال لأجله!

تهرب من العالم في برودة الغطاء الناعم الذي يعكس نعومته على جسمها ويشعرها كأن النار أمسكت فيه

الحياة لم تكون يوماً منصفة يا عزيزي بل إذا أعطت أعطت بإمتياز وإذا أخذت تسحق كالبركان الهائج

تشتاق من داخلها لوالدتها الحبيبة، اشتاقت لحضنها موطنها الأساسي، اشتاقت ليديها التي تهدأ من روعها عندما تضعها رأسها تطبطب عليها بحنو

الأن هي شريدة، بلا أهل أو عائلة وحيدة!

وما أقسى شعور الوحدة كفيل أن يقتل صاحبه ببطيء كالسُم بطيء المفعول قوي في أثره!

قطع شرودها دخول الممرضة وخلفها الدكتور متين إلى الغرفة، سمح متين ببقاء الممرضة معهم حتى لا تخاف أو تبغض وجوده، اعتدلت "شهد" فى جلستها ثم نظرت إليه بتساؤل ليقول بحذر شديد:

- فيه حد جه وعاوز يقابلك

رهبة تملك قلبها وبدأت التساؤلات تنهال على عقلها البائس بالأسئلة، همست بارتجاف قائلة:

- مين؟

-"أنا"

رفعت عينيها تجاه الصوت، الصوت المألوف لها والذي لا تنساه طول الدهر، الصوت الذي فقدته مُنذ زمن!

انكشفت على نفسها بخوف و كُره دفين لا يعلمه سواها

هل شعرت يومًا شعور أن العالم تآمر عليك؟

هل شعرت إنك حشرة منبوذة من الجميع؟

عندما تغادرنا صديقة نبكي ونحزن ونصيح وكأن العالم توقف عندها!

حسنًا؛ هي غادرتها الجميع

الأهل والأحبة

القريب والغريب

الجميع بلا استثناء.!

أباها أمامها بجبروته المعهود!

لم تعهده سوى قاسي، مُتحجر

ظالمً..

شعور الكُره يضاهي شعور الخوف بمراحل!

ظلت على حالها، متجمدة لا تتحدث، تنظر إليه

فقط!

جلس على الكُرسي المُقابل للسرير ثم نظر لها

بتمعن قائلًا:

- عامله إيه هنا؟

ودت لو كانت قوية الآن لردت بجراءة أفحمت

جبروته وهو محله؛ لكن ضعيفة، هشة لا تملك

من القوة ما يكفيها لتواجه من ساهم فى أذيتها أطبقت على شفتيها بعجزٍ شديد، استطرد هو حديثه قائلًا:

- الدكتور قالي إنك قربتي تخرجي من هنا وده معناه إنك تدوري على سكن تعيشي فيه بعيد عن البلد كفاية كلام الناس عني والفلوس هتجيلك لحد عندك

أخذت الدموع مجراها على وجنتيها، تكره ضعفها وذلها بكل ما فيها، لكن! هذا حقًا يكفي! ما هذا الجبروت!

تجمدت عيونها لثواني ثم رفعتهما نحوه بنظرات تحمل السخرية:

واللهِ! يعيني قد إيه إنتَ أب عظيم وكل مرة بتبهرني عن المرة الاولى حقيقي يا خسارة

مش متخيله أقف أنا وإنت قدام ربنا واخد حقي منك،

من أبويا!!

من داخله نيران وخارجه بركان من الجمود، هل في ذلك الوقت مكان للجمود! تبًا لـ أناس خلقوا يقهروا ابنائهم!

خرج صوته غليظ، جامد، بارد، يقول:

- أبوكي اللي دفنتي راسه فى الطين بسبب عملتك السودا؟ احمدي ربنا إنك لسه عايشه اللي زيك يستحق الرجم والموت بالحيا

صرخت بوجهه بغضب هادر قائلة:

- وإنت مصدق عني ده! مصدق إن بنتك تعمل كده؟ اطلع بره مش عايزه اشوفك أطلع بـــــــــرا..!

* * *

تعالت صرخاتها ليأتوا الممرضين بلهفه أثر الصوت، خرج بغضب من نفسه اولًا ومنها

ومن

الجميع

بينما تأوهت هي بتعب وقلبٍ مُتعب ذاق مرار الحياة ما يكفي!

إرتمت على الوسادة خلفها بجسدٍ مُرهق وروحٍ مذبوحة، اعتدلت على يمينها تجاه الشباك تتأمل الفراغ بشرود

هل هي قوية حقًا!

هل قوتها تكفي لمواجهة العالم والإختلاط بالبشر!

هل ستطيق النظر للرجال؟

الحقيقة لا

ولكن شيئًا ما داخلها يصرخ، يريد الحُرية..

العيش!

وهي!

هي مشتتة، تكاد تنفجر من ذلك الضغط الرهيب عليها

تريد أن تحيَا قوية؛ ولكن لا يوجد أحد يشجعها على ذلك!

آهٍ حارقة خرجت من جوفها لتحرق صدرها وقلبها معًا، تكورت على نفسها كالجنين ثم همست لنفسها:

- يارب قويني أنا أضعف من كل ده، أنا واثقه فيك وفي رحمتك وهصبر بس امنحني القوة يارب!

* * *

خرجت من سِجنها الإختياري تتجول بين المارة

بعينين ثاقبتين قويتين لا يهبان أحد ولا الظروف!

لفت نظرها رجل ملامحه غريبة عن الرجال هنا بمصر

طويل وعريض الكتفين، نعم هي محقة لم ترى مثل تلك الملامح هنا!

ذهبت إلى حيثُ الرَجُل ترى ما بهِ ولِما يبدو غاضبًا هكذا ومن أية بلد أتى!

يقف أمام المحل بغضب طفيف غزاه الضحك ليصبح منظرًا مُضحكًا بحق!

تحدث "دهام" باللغة العربية الفصحى قائلًا:

- يا أخي سوى " ككسة " أعطيني اياها حتى أذهب!

ثار كلمته الغامضة غضب الراجل بسبب جهله لتلك المعاني، أشار له الرجل بتهديد قائلًا:

- أنت شكلك أجنبي ومش من هنا، امشي علشان خُلقي يدوب! جاي تشتمنى في محلي مستحملك بالعافية

زوى "دهام" حاجبيه بغضب من ذلك الرجل الغليظ من وجهة نظرة، قطع نظراتهم دخول "شموس" عليهم، نظرت لكليهما ثم وقفت أمام صاحب المَحل قائلة بتساؤل:

- فيه ايه ياعم على؟

ضرب "العم على" بكفي يديه على بعضهما، ثم قال:

- الراجل اللي وراكِ ده عمال يقول كلام مش مفهوم وحاسس انه بيشتم ومتبت فى المحل.. مش راضي يمشي!

استدارت شموس تجاه "دهام" قائلة بهدوء:

- فيه إيه يا أستاذ؟

حرك "دهام" رأسه باستنكار ثم قال بشكوى:

- هذا الرجل أعطيته مال وأخبرته إني أريد "ككسة" صاح وغضب ويتهمني اني أُسيء إليه!

ضيقت "شموس" عينيها بتفكير فى تلك الكلمة، ثم نظرت إلى "دهام"، لمحت على كتفيه شال فلسطيني لـ تستنتج أن الكلمة تخص فلسطين!

نظرت له بعُمق ثم قالت:

- إنتَ فلسطيني؟

هز "دهام" رأسه بإيجاب، إستطردت "شموس" حديثها لـ العم على:

- والـ "ككسة" هي الكيكة عندنا، ده كان قصده يا عم علي

نظر له "العَم علي" ببهجة ثم قال بترحاب شديد:

- خد فلوسك وخد اللي عاوزه من هنا، يا ألف نهار أبيض فلسطيني عندي! جاي من الغالية لدكاني واخد منك فلوس أبدًا والله العظيم

ابتسم "دهام" ابتسامة أبرزت غمازته ليصبح وسيمًا عن قبل قليل، ثم قال بشُكر:

- جزاك الله خير الجزاء يا "عم على"

ثم التفت نحو "شموس" قائلًا بامتنان:

- شُكرًا يا أُختي

لوت شموس شفتيها قليلا ثم قالت:

- ليك بيت هنا أو حد هتقيم عنده؟

هز" دهام " رأسه بإيجاب ثم قال:

- اها لدي صديق أتيت من أجل عرسه وسأقيم هُنا لفترة

طيف مر مرور عابر فى عقلها، لم يقيم هنا عرس سوي "أويس"! هل حقًا هذا ضيف أويس! هل سيتزوج أويس بتلك السهولة وبعُرس ضخم يجمع فيه الجميع!

كم الحياة حقًا مؤذية وخادعة، هل مرت تلك السنوات كالسراب بالنسبة له! ألم يحِن لذكره واحدة حتّىٰ!

دمع غالي توهج في عينيها بألم يكوي وجهها

وحدها، انتبهت إلى نفسها وأين هي تمسح وجهها سريعًا ثم قالت بنبرة مرتجفة:

- هبعت معاك واحد يوريك البيت

كان" دهام " تراقب انفعالاتها بتركيزٍ شديد، لاحظ تشنج وجهها أثر ذكر اسم العُرس فقط! تلك الفتاة تُثير فضوله كثيرًا وودّ لو علم عنها ما يخفيه صدرها لكن سيترك القرار للقدر، إن كانوا لهم نصيب من اللقاء سيحدث ووقتها سيعلم عنها كل شيء!!

* * *

على الجهة الأخرى توجهت "شموس" نحو أكثر الأماكن راحةً لها، إلى شيخها "الشيخ يوسُف"، وجدته جالسًا بمفرده يرتل من القرآن بصوتهِ العذب، ألقت السلام ثم جلست

قبالته بصمت، دقيقة حتى قطعته هي قائلة:

- أنا عملت حاجه حرام؟ أو تزعل ربنا؟

- المقصد؟

أخفضت وجهها نحو الأرض ثم قالت ببعض الخجل:

- حبي ليه كان حرام؟

فهم الشيخ" يوسُف " مقصدها ليصمت قليلًا ثم قال:

- الحُب عمره ما كان وحش بالعكس، الحب ده أجمل شعور الانسان يحسه ويعيشه ويتعايش معاه، والحُب اللي اقصده هنا هو الحُب الحلال

قاطعته باستغراب جلي ثم قالت:

- حُب حلال!

هز الشيخ رأسه بنعم ثم عقب قائلًا:

- ايوه الحُب الحلال، الحُب اللي مفهوش حاجه تغضب ربنا ولو بنظرة، الحُب الحقيقي يعني راجل حقيقي يحافظ عليكِ زي "رسولنا و أم المؤمنين عائشة ووفاء الرسول للسيدة خديجة"، عُمره ما يبدأ بين صحوبية وكلام بدون رابط شرعي حقيقي، ربنا قال في كتابه الكريم (وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ)، عمره ما كان بالغزل بدون وجه حق ونظره ليكِ بدون غض للبصر، عمره ما كان بيجمع بين رجل ومرأه بدون محرم.. كل دول نواهي يبقى فين الحلال بقا!

أخذت الدموع مجراها على وجنتيها بندم حقيقي على ما ارتكبته في نفسها و خراب قلبها، تحدث الشيخ بأسف عليها:

- باب التوبة مفتوح دايمًا وبابِ مفتوحلك دايمًا، استغفري وتوبي وادعي ربنا يرزقك بالزوج الصالح التقي وربنا عُمره ما رد عبد جاء إليه راجيًا نادمًا..

رفعت وجهها نحوه بنظرات خائبة ثم قالت:

- حياتي كلها خراب، حياتي مفهاش حد يقولى الصح من الغلط، ازاي!

- الزمن كفيل يعلم الإنسان الصح من الغلط ويعرفه غلط، اللي دايمًا في صف ربنا كسبان وانتِ كبيرة كفاية علشان تعرفي لوحدك الصح من الغلط، احنا بناخد دينا من القرآن والسنة والأحاديث المنقولة عن النبي..

بصيص من النور تسلل إلى قلبها؛ لتسأله بحماسٍ:

- أبدأ بـ ايه؟

وختم الشيخ "يوسُف" حديثه معها بقوله:

- القرآن الكريم من هنا تبدأ مشوارك وتفهمي دينك..

ابتسمت بامتنان شديد لذلك الرجل الذي كان لها

طوق النجاة من بئر الذنوب التي وقعت فيها بدون وعي منها ولوم من أحد، شيخها الذي انتقل حديثًا للعيش هنا مع زوجته الطيبة ليكون طريق الهداية لها..

* * *

- أنا مشوفتش في بجاحة طلاب الجامعة دول، يساتر!

هتفت "أمنية" بحنق من هؤلاء المدعيين

المثالية أمام الدكاترة، بينما ردت عليها صديقتها بمكر:

- امممم في حد بيغير هنا

التفتت إليها "أمنية" بغضب مُبالغ:

- نعم نعم غيرة مين بس يا عسل قال غيره قال

قالت ثم غادرت بغضب دفين بينما راقبتها صديقتها بيأس منها، قائلة:

- والله بتحبيه ودايبه فيه بس مين يقدر على دماغك الحجر دي!

الفصل الثامن

لم يَبْقَ بي مَوْطِئٌ للخسارةِ:

حُرٌّ أَنا قرب حريتي

وغدي في يدي..

سوف أَدخُلُ عمَّا قليلٍ حياتي

وأولَدُ حُرّاً بلا أَبَوَيْن.

محمود درويش

الحُب تعود

العِشق تعلق

الهوس الجنون!

الندم يأكله داخليًا؛ ولكن كما يُقال

" أزفت الآزفة "

لا غُفران بعد اليوم

ألم يعلموا أن بقدر ما تُعطي الأنثى بقدر ما تكره

أضعافًا؟

يتأمل حُلتهُ الجديدة وتذكر واحد فقط يطرق خياله

"ماذا لو كان اليوم عُرسهم همَّا فقط"!

ألم وكأن أحدهم ضغط على إصابة في قلبه ليشتعل وجعًا، وألمًا ..

انتبه إلى وقوف والده خلفه، حاول جاهدًا ضبط أنفاسه وانفعالاته، هي ضحية غُربته وهو ضحية الظروف، استدار إلى والده ينظر له بعُمق يحاول أن يستشف ردة فعله؛ لكن والده ماكر لا يعلم ولا يبوح لأحد عما ينويه

تقدم "أويس" منه ثم قال:

- أنا جاهز!

رمقه والده بنظرة شاملة، مُتكلفة

نظرة خائبة، انتصار!

مشاعر متضاربة وغير مفهومة فى تلك اللحظة!

رفع أنفه بكبرياء ثم قال بجمود:

- أنا سألت وعرفت أصل البنت وإنها من عيلة كبيرة ووصله كمان وده هيكوِن حاجه كويسة لنسلنا

رمقه "أويس" بنظرة باردة، يشعر بالنفور من تفكيره الدنيء وفي المُقابل يحمل هو ثقل ظهورها أمام الناس وهي حامل! حتمًا سيتكلمون و يجعلونها مضغة في أفواه الكبير والصغير..

في أفخم قاعات الجنوب

يجلس بجانبها، هي جميلة وجميلة بحق!

أخذت من ملامح الغرب والبعض من طباعهم

ولكن تربت على عادات الشرق

تعيسة رغم فرحتها أنها نالته!

حزينة رغم البهجة حولها

تحمل بداخلها نبتته الذي وضعها داخلها

يجعلهم أغراب مثله!

على عاتقها حِملٌ لا يقدر عليه أحد، نظرت إلي

جانب وجهه، الوجه الذي عشقته بكل

جوارحها يجعلها تقبل العيش غريبه بجانبه،

تُرا ما هو مستقبلهم في تلك البلدة؟ هل يضحك

لهم القدر أم يُكمل قطاره عليها؟

شعر بما تود قوله وبما تُريده وهو مثلها

تمامًا، عاجز على إعطائها الأمان، هو الذي جاء كي يُرِد بضاعته المفقودة فقدها للأبد

واليوم ختم

بذلك!

كما قال والده هي ذات نسبٍ غالى ووالدها جبار لا يخشى أحد ويفعل أيَّ شيء لأجل إسعادها فقط، حتى ولو على حساب سعادة الأخرين!!

لامست جنينها بتوتر، تحاول جاهده بث الأمان داخلها وأن كُل شيءٍ بخير!

رسمت ابتسامة باهتة على شفتيها ثم قالت:

- فُك تكشيرتك شوية دا إنت عريس

مزحتها لا تمُر عليه، هو يعلم ما بداخلها ولكن!

فكر أن يفعل شيء لأجلها ولو بسيطًا، هي تحملت وتحملت غربته وطباعة في الغُربة، تزوجته وعادت الجميع لأجله وحملت بداخلها ابنه لتعطي له مفتاح الحياه بدون مقابل!

سحبها بخفة إلى ساحة الرقص ليشير إلى رجل

أن يتوقف عن الأغاني، خافت من ردة فعله وما هو مقبل عليه!

همس لها بنبرة تحمل بحته الرجولية المميزة قائلا:

- هنشارك اللحظة دي سوا ونرقص على غنانا بصوتنا احنا وبس! فاكره؟؟

تنفست بعُمق ثم توسعت ابتسامتها بفرحة غزت حصونها؛ تومىء له بـ "نعم"..

بدأو الرقص على أنشودة رقيقة، همس لها وسط الغناء:

- تشبهين تلك الأنشودة كـ قمرٍ مُضيء غزا ليلٍ أسود"

تعالت صوت ضحكتها بفرحة كبيرة خارجه تلك المرة من قلبها..

* * *

الحُب يموت.. والقلب لا يموت

يجلسون سويًا تُدرس له بجدية شديدة، بعيدًا عن مرحها مع الصغير لكن تخاف على مصدر رزقها..

جاءت الخادمة بالمشروبات وعينيها على الصغير بطريقه مُريبة، هي غاضبه من وجود "ندا" هنا وسيطرتها على الصغير تفقدها بسبب

تلك المُعلمة!

فكرت قليلا بمكر ثم نظرت إلى ندا واتجهت إليها بابتسامة خبيثة، اقتربت ببطء منها وفي لحظة كانت المشروبات تنزل على ندا كالمطر! صرخت ندا بغضب بسبب بشاعة الموقف! جاء أيوب على الصوت ليرى أمامه منظر قد يكون مُضحك ولكن بالنسبة له يعكس هذا تمامًا.!

- إنتِ مُتخلفة إيه دهه!

رجعت الخادمة للوراء بذعر من حالتها الهجومية الغير متوقعه، تحدث أيوب بحدة:

- وطي صوتك! وأنتِ مش واخده بالك منها مثلا!

أخفضت الخادمة وجهها أرضًا ثم قالت بحزن مصطنع:

- أنا أسفه يـ أيوب بيه والله ما خدت بالي!

بينما صرخت ندا بنفس الغضب قائله:

- شوف الطيابة شوف أخلاقك أحرجت أهلي يا شيخه منك لله على هدومي اللي خربت دي

نهرها أيوب باستنكار:

- شششش قولت خلاص فيه ايه!

ثم وجه حديثه مرة أخرى للخادمة:

- روحي هاتي هدوم للأبله حالًا

أومأت بطاعة ثم غادرت، بينما تحدث مُدثر وهو يفتح عينيه على وسعهما:

- هتبقي حربايه!

نظر أيوب إلى مدثر ليصمت فورًا بينما قالت ندا بتساؤل:

- حربايه ازاي يعني؟

جاءت الخادمة بلباسٍ باللون الأخضر يسُر العين بجماله، أخذته منه ليقول بنبرة لعوبة:

- اللون ده يليق على صنفكم جدًا جدًا يعني

ألقي بكلماته ثم غادر؛ تجز على أسنانها بغيظ من ذلك البيت الذي لا ترى فيه وجههًا جيدًا حتى الآن!

* * *

انهزم قلبي للمرة التي لا أعلم عددها، وقف يبكي كـَ طفل فقد أمه أمام عينيه.

مُنذ أخِر زيارة لها وهي شاردة، بداخلها صراع بين القوة والخوف

التقدم والتراجع

الفوز أو الخسارة

هي ضعيفة وتعترف بذلك ولكن لا تدرى ماذا

يجب عليها أن تفعل!

قطع شرودها دخول "متين" عليها، حالتها تصيبه بالحزن، لا يعلم شفقة، أم! لا يملك الجواب حتُى!

قطعت سبل أفكاره سؤالها، تقول:

- فيه حاجه يا دكتور؟

تقدم منها تاركًا بينهم مسافة كبيرة ثم قال:

- فاكرة لما سألتك ناوية تروحي فين بعد خروجك؟

أمأت له ثم نظرت مرة أخرى تجاه الشباك، قائلة:

- لكل شارد مكان يأويه وأنا مكاني موجود

- بلدك؟

نظرت له بغموض ثم صمتت وهي تفكر مليًا

فيما تنويه، سيكون جنونًا ولكن لتخطو خطوة تجاه الحق ولو لمرة، تحملت الكثير ولم يتبقي سوى حقها، خسرت كل شيء ولم تعد تملك شيء تبكي عليه بعد، خسرت الود و الاحتواء والحب

خسرت أهلها وقلبها وريعان شبابها، خاسر الشيء لا يبقى على أحد وهي لم تبقي على أحد،

ولا عزاء للبشر!

الفصل التاسع

"عودة غائب"

كم حزين غُربة الإنسان داخل وطنه، إنسان يبحث عن الأمان في وطن أخر وظِل الشجن يُلاحقه!

آهٍ يـ وطني!

تفرق شبابك ومات شيوخك والأطفال تيتموا داخِلك!

داخل أوطاننا غُرباء، فاقدين الحب والاحتواء

لو أدركتِ كم نشتاق؛ لما هانَ عليكِ تشتت صغارك!

حروف من دموع يُسطر بها كلماتٍ تشبه نصل يجرح كبد الإنسان، اشتاق لرائحة وطنه و

النظر في وجوه المارة حديثٌ لا يُدرجه إلا فاقد وطنه.

مُذكراته الخاصة تحمل رائحة الحنين، وحدته يحوم حولها الذكريات وبين كُل هذا هو وحيد.

هزّ "دهام" رأسه بتعب ثم وضع المُذكرات داخل ملابسه يُخفيها عن العيون، خرج من غُرفته إلى غرفة صديقه "أويس"

طرق الباب ثم انتظر قليلًا حتى فتحت له زوجة صديقه "نِداء" التي قالت بترحاب بعد أن علمت هويته:

- أهلا دهام

- أهلا بكِ، أين أويس أريده في شيء؟

- بياخد دوش ممكن تستني في المضيفة لحد ما يخلص؟

تأهب دهام للمغادرة، قائلًا:

- حسنًا أخبريه أني خرجت للتجول

غادر دهام بينما دخلت نِداء إلى الداخل لترى أويس قد خرج للتو، تقدمت منه ثم باغته بسؤالٍ:

- هي دي بلد حبيبتك القديمة؟

تعجب من سؤالها قليلا، عاد لرشده ثم قال:

- ومين قال أنها قديمة؟

غيرة المرأة يتخطى البركان المكتوم، هذا ما دار داخلها كتفت يديها أسفل صِدرها، قائلة:

- لا هي بالفعل قديمة وانمحت احترامًا لوجودي قديمة، احترامًا لمشاعري قديمة ولو إنتَ متعود تلعب بمشاعر دي ودي فـ "نِداء" غيرهم كلهم!

اقترب منها بشررٍ يتطاير من عينيه مردفًا:

- لولا اللي في بطنك مكنتيش تحلمي اسمك يتكتب جمب اسمي يا هه نِداء.

رمى كلامه المسموم أمام وجهها ثم غادر وكأن شيء لم يكُن، تلوم نفسها من الآن على الموافقة لمعاشرة هذا الرجل

تحملت كُل شيء لأجله حتى أصبح هذا جزائها، من البداية كان صريح معها أنه يحمل في قلبه غيرها، طباعه لا يتحملها رجل حتّىٰ!

كتمت صوت بُكائها بيديها حُزنًا وحدادًا على عُذرية قلبها التي أخذت غدر!

* * *

مجموعة من الفتيات والشباب يحملون على وجوههم الفساد والضياع، لهتهم لذة ومتاع

الحياة على الهدف الأساسي في الحياة!

الحقيقة هؤلاء مُنتشرين كالنار الخبيث في شتّى

الجامعات، لا يعلموا شيء عن الدين والحياء والأخلاق!

ولد منهم يرتدي سلسلة حول عنقه وحظاظات في يديه ولا يبدو عليه أي معانى الرجولة!

عيناه على فريسته التي ينتظرها منذ أن أتت إلى هنا، عينيه تُراقب بتشتت دخول الطالبات وخروجهن بصبر نافذ

تنهد بضيق ثم قال لزملائه:

- بنات دفعتها كلهم رايحين المحاضرة هي مدخلتش ليه!

نظرت له صديقته "ميرنا" بضيق، قائلة:

- جرا إيه يـ "إبراهيم" مش هنخلص من سيرة ست الحسن دي! يا أخي من قلة بنات الجامعة؟

رمقها "إبراهيم" باستنكار ثم قال:

- الكل هنا بنات اه لكن هي ستهم كلهم!

نظروا له أصدقائه بدهشه من تعلقه بها، والحديث عنها بتلك الطريقة! الجميع يعلم أنها انطوائية لا تملك سوى صديقه واحده وهو لا ينظر إلا لسواها، صمتوا حينما رأوها تدخل مع صديقتها متجاهله النظرات المصوبة نحوها قام بسرعة وكأن العيد طل من مكانٍ ليجعله كالصبي المشتاق للملابس الجديدة!

خطىٰ نحوها بلهفة قاطعًا طريقها، ثم قال بحذر:

- انا أسف أني قطعت عليكي طريقك لكن كنت عايز اتكلم معاكي

نظرت "أمنية" إلى صديقتها "حبيبة" ثم قالت باستغراب من نظراته لها:

- حبيبة صاحبتي مش غريبه ممكن تقول اللي إنتَ عاوزه هنا قدامها

هز رأسه بتصميم غريب رهبها منه خاصة من تمسكه الغير مفهوم لها:

- لا هكلمك لوحدنا الموضوع مهم جدًا

شعرت حبيبة بالإحراج تستأذن على أساس أن تقف على بُعد مسافة صغيرة منهم، ابتعدت حبيبة ليقترب هو منها قائلًا بتوهان:

- أنا مش عارف أبدأ بـ ايه بس انا بحبك وعايزك

علامة استفهام كبيرة تشكلت على معالم

وجهها الحسن لتصبح حقًا كالبلهاء لا تفهم

شيء، يقول لها أحبك كيف؟ هو يكبرها بثلاث

اعوام فقط هل هذا سبب تقبل بهِ حُبه؟

لحظة!

هذا "إبراهيم" حديث الفتيات وبطل احلامهن

هل

يتلاعب بها حقًا؟ هي لم تعد تثق في البشر قد

مالت منهم الأذى ما يكفي.. هل ستفتح جُرح

جديد ومازال القديم لم يُغلق بعد!

هو ينتظر ردها على أحر من الجمر، يعلم

بداخله أن موافقتها لا تأتي سهله لكنه يأمل

خير!

وجهها الشارد الذي يحمل داخله قصص حزينة

هي بطلتها يؤلمه، انتبهت له أخيرًا لتنظر له بتركيز وكأنها فقدت قدرتها على الإدراك بعد:

- وإيه السبب اللي يخليني اوافق عليك؟

ثمة أمل نبت بداخله وكأن وجودها حقًا صار حقيقة ملموسة:

- هخلص السنه دي ونتجوز فورًا وتعليمك هتكمليه عادي

هزت رأسها بسخرية لاذعة على قدرها هذا:

- وتصرف عليا من مصروف بابي اللي يدهولك كل يوم؟

النور الذي سمح أن ينير قلبه يطفئ تدريجيًا بسببها!

تحدث بحذر شديد مما هو قادم:

- يعني ايه؟ أنا مستعد أعمل أي حاجة!

اقتربت منه بخطوة واثقة اكتسبتها من قسوة الأيام وظُلمة الليالي:

- يعني لما تبقي راجل يُعتمد عليه وفلوسك من تعبك وقتها اوعدك إني افكر..

مع آخر حرف كانت غادرت من أمامه تاركة إياه يعيد كلامها داخله، والدته تنتظر تخرجه حتّىٰ يستلم الشغل نيابة عن والده الجالس، وهي ترمي فى وجهه كلامها المسموم من وجهة

نظره، ألم يعلم أنها حقًا تملك الحق في حديثها؟

* * *

طُردت الخادمة ولم يتبقى مع ابنه أحد، بات هو المسؤول عن كل تفاصيل حياته ودراسته.

هي أخذت جانب منه بدون مبرر وهذا ما

يُشغله حقّا، تأتي وتمشي كالضيفة الثقيلة عليه، لا يعلم السبب وهذا يؤرق يومه..

أفاق من شروده على صوتها تنبهه أنها أنهت الدرس ويجب عليها المُغادرة، أمرها بالجلوس أمامه ثم قال:

- بقالك فتره تصرفاتك مش عجباني ورغم كده سايبك تكملي هنا مع ابني!

عقبت على حديثه بقلق ظهر على وجهها:

- انا قصرت مع مدثر في حاجه؟

نفي حديثها بقوله قائلا:

- لا بس ده ميمنعش أنه فيه حاجه مهمه كمان!

نظرت له بعينين مختلفتين عن كل مرة سابقة نظرت له فيها، باغتته بسؤالها الصادم له:

- مقولتش ليه إنك مريض كانسر.؟!

* * *

الأمل يتجدد كل يوم، لا تنكر ان جزء داخلها خائف مما هي مقبلة عليه لكن هي ليس لديها ما تخسره..

دخلت عليها "سيا" التي قالت بتشجيع:

- متأكدة من الخطوة دي؟

تنفست بعمق ثم نظرت لها بثقه غائبة:

- متأكدة جدًا يمكن المرادي متأكدة عن كل مرة خدت فيها قرار!

ربتت "سيا" على يديها بتحفيز:

- وأنا و متين في ضهرك ومش هنسيبك غير وإنتِ مطمئنة!

على ذِكر اسمه مالت نبرتها للحزن، فهمتها

"شهد" لتقول:

- متين من الواضح انه بيحبك والا مكنش ساب الكل علشانك، هو مفتقد حد في حياته وده مخليه تايه حتى لو مش بيقول.. أدوا لعلاقتكم فرصة بعيد عن الشكليات ورجعوا الناقص في حياتكم لبعض

كلامها البسيط أحيا بداخلها ذكريات جاهدت تتخطاها ولكن ابىٰ ضميرها ذلك

دخل عليهم متين قائلا:

- المشوار للصعيد طويل يلا علشان نتحرك بدرى ونوصل بدرى

أماؤا له ليستعدوا جولة صعبة ومواجهة قوية تجمع بين ظالم ومظلوم وكِبار البلد!

الفصل العاشر

المواجهة

في الأمس..

طُردت من تلك البلدة

أمام الجميع

الأهل والأصحاب

الصغير والكبير

الشامت والشافق

لم يرأف بي أحد!

والآن..

أعود إليها

أمام الجميع

العدو والخبيث

الصغير والكبير

الشامت والماكر

لم أذكر الأهل لأن لم يعد لي أهل!

سيارات سوداء خلف بعضها تدخل بطريقة ملفته ومُهيبة للعين، في المُقدمة "متين، سيا، شهد" وخلفهم سيارات الحراسة الخاصة بـ سيا تجنبًا لأي فعل غير محسوب له.

أصبح الحديث عن السيارات على الألسن كالنار في الهشيم، الصغار يفرون خلف السيارات بانبهار وفضول، والنساء يتحدثون يخمنون، والرجال يذهبون خلفهم!

فى نصف البلد تحديدًا، وقفت السيارات فجأة، ترجل منها متين اولًا بهيئته القابضة للأنفاس وخلفه سيا ومن ثم "شهد" التي خرجت في طلة مختلفة تمامًا، خلعت الحجاب واصبحت

متحررة

بشكلٍ مندهش للجميع.

وجودها أصبح اللسان يتحدث بفضول أكثر

وباتت النساء يتحدثون عن ما مَضىٰ وكيف

تأتي بعينٍ واسعة لا يهمها أحد!

مسحت بعينيها الجميع من حولها ثم تقدمت

بجوار سيا ثم قالت:

- مُستعدة.

هزت رأسها ثم تقدمت بجوار متين الذي قال

إلى رجل الأمن الخاص بقصر العُمدة:

- بلغ العمدة بتاعك إن الدكتور متين بره

نار قوية ضربت صدره على ذكر اسمه دون

اسم والده، يالسخرية أذكر اسم والده ووالده

شخصيًا أمامه!

هز رأسه بسخرية لاذعة، صائم عن البوح بالحقيقة فقط لأجل والدته الذي هجرها هو الآخر!

خرج الرجل يدعوهم للدخول، رفضت شهد وصممت أن يخرج هو بنفسه كما فُضحت أمام الناس، سيرد حقها أمام الناس

دقائق معدودة حتى حضر العُمدة وابنه أويس ودهام وفي الأعلى تشاهد نِداء، وأهل البلد يقفون من حولهم بفضول..

تعجب العمدة "ماهر" من وجودها بل وجرائتها أمام الناس! تلك التي خرجت بفضيحة من البلد!

وقف ماهر يتأملها قليلا قبل أن يقول:

- أنت مين وإنتِ إيه اللي جابك هنا مش أنا

طردتك من سنة؟

رفعت يديها أمام وجهه بغضب أثر تلميحه عن ما سبق:

- كلنا عارفين يا ماهر يا رافعي إني بريئة وإن مش أخلاقي دي ورغم كده ظلمتني وخوضت في عرضي وطردتني بتسأل إيه اللي رجعني؟..

هه هستنى إيه من واحد طارد مراته وعياله علشان نفسه!

كلماتها الأخيرة أثارت غضبه هذه المرة، كلامها لامس جزء من الماضي الذي حاول كثيرًا مرارًا أن يدفنه ولكن يبدو غير ذلك!

- عايزة إيه يابت إنتِ؟

كان هذا صوت أويس، صوت لم يكن غريب عن قلبها ابدًا، ومن يسكن القلب ويغيب عنه..

هل القلب ينسى حبايبه؟

نقلت بصرها له ثم قالت بصوتٍ مكتوم:

- عايزة حق شرفي وعرضي

- فين أهلك؟

- "شهد بنتي"!

صوت والدتها من بعيد جعلها تستدير لها بلهفة أخفتها بحرفية، وبين كل هذا هناك من كان ينظرون لبعضهم بكراهية وغضب دفين.

حولت شهد نظرتها عن والدتها بصعوبة ثم قالت بعد ما رمقت والدها باستحقار:

- مليش أهل!!

شهقت والدتها بصدمة بينما تعالى درجات الغضب عند والدها، قطع النظرات والهمس بينهم صوت ماهر يقول وعينه في عين متين:

- نادي لمراتك تاخدها يا أويس شهد هتقعد عندنا.

خرج متين أخيرًا عن صمته، يقول:

- خير ما عملت برده طول عمرك ذكي يا عُمده.

رمقه بعصبيه ثم نظر إلى الجميع أمرهم بالتفرقه والذهاب إلى بيوتهم، بينما رفض متين أن يدخل القصر أو يعطي له فرصة للكلام بعدما اطمأن على شهد وهذا يكفيه.

في الطريق يقود شارد حزين، هموم الحياة فوق كتفيه، تحزن هي على حزنه ولا تعلم كيف ترضي قلبه، هي السبب في فراقه عن والدته الحبيبة، أخبرته أن يذهب لها ولكن النتيجة لا تريده، لقائه بأكثر الناس بغضًا

بالنسبة له يعد وكأنه كان في جحيم للتو!

وضعت يديها على كتفه بمواساة:

- مالك يا حبيبي؟

رن هاتفه لتصمت كي يرد على الهاتف، وصل له صوت أخيه الصغير يصرخ له أن يأتي في الحال

في دقائق كان في شقتهم القديمة، في بيت والدته التي طردته منها كلما اتى، قابل الطبيب في وجهه لتصدمه جملة واحدة "البقاء لله والدتك في ذمة الله"

* * *

كُل حرف نكتبه لا يمُر علينا مرور الكرام؛ بل يأخذ من عقلنا الهدوء فيتحول لضجيج، يحيي في قلبنا ماضي دُفن والحقيقة أنه لم يُدفن بعد،

يأخذ من سلامنا النفسي فتتحول لمرضىٰ نفسيين

الحقيقة أن ليس كل ما نكتبه مُجرد كلام؛ بل كلام

لا نستطيع أن نبوح به ونبوح للورق عنه.

أغلق دهام مُذكرته عندما شعر بأحد خلفه، نظر ليراها هي تلك الشاردة الحزينة، ذات عيون الغزال "شموس"

اعتدل في جلسته قائلًا:

- ما الذي أتي بكِ إلى هنا يا فتاه؟

جلست بجانبه ثم قالت بغلظة:

- جو الأجانب ده ميمشيش معايا اتكلم عامي زينا اه صح إنت اسمك إيه؟

ابتسم دهام ابتسامه واسعه قائلًا بفخر:

- اسمي دهام الشريف

- اممم اسمك حلو على فكرة

- وعيونك أحلى

خجلت من غزله الصريح لها ولم يقف بل استكمل غزله بقول:

- عينيكِ تُشبه عيون الغزال، واسعه سوداء، كثيفه الرموش و حزينة!

أصبح وجهها شعله من النار وعينيها تدمع اثر ذلك الكلام ولكن لم يعفيها ولم يشفي جرحها، لقد سمعت مثل هذا الكلام كثيرًا وخُذلت هل ستُعيد ما عاشته مرة أخرى؟

وقفت ثم قالت قبل أن ترحل عنه:

- كل الكلام سهل يتقال لكن الثقة صعب ترجع..

تأمل هروبها منه بصدر رحب وقد بات مُتيقنًا

انـها تُخفي شيئًا عنه ما يجعل حياتـها مؤرقه هكذا.

فتح مُذكراته مرة أخرى ثم خطى بها بقلمه:

- الأنثى الحزينة تُشبه الأسد الوحيد في الغابة، شجاع أمام الناس وضعيف أمام نفسه..

الفصل الحادي عشر

"البقاء لله"

هل شعرت يومًا بفقدان أمٍ كانت يومًا محور الحياة؟

هل شممتُ رائحة اليُتم والفقدان؟

هل ذقت مرارة الوحدة؟

قد يكون الموت راحة للموتى ولكن ألم قوي يُشبه البُركان المُتأجج داخل القلب لا يُطفئه أحد

أقوى خسارة على الإنسان هي فقدان أعز الناس

حُرم منها عندما اختار المنصب والمال تركها فنبذته للأبد

اليوم لا يُسنده المال ولا يُعيد له ما رَحل!

حزن يحيط كهالة مهيبة حوله لا تتركه ولا

تسمح له بالفرح

والدته الحبيبة التي آوتهم حينما تبرأ منهم والدهم

تلك المرأة الطيبة ذات الوجه السمح البشوش يستند على الباب بعدما غادر الناس بإرهاق وحزن، لا يعلم ما هي الخطوة التالية ولا يعلم كيف يضع عينيه في وجه إخوانه، خرجت من صومعتها تلك السمراء، ندا تنظر بغضب مكتوم له ولتلك الواقفة بجانبه

تحركت لتقف أمام وجهه بنظرات تحمل الحسرة، ثم قالت:

- العزا خلص تقدر ترجع مكان ما جيت

تطلع لها بنظراتٍ تحمل الرجاء والعفو في ذيلها،

ولكن هيهات هي بداخلها غضب كبير إن خرج سيحرق الجميع وهي اولهم!:

- معدش ينفع هتيجوا معايا بيتي مينفعش تكونوا لوحدكم

صاحت في وجهه بغضب قائلة:

- واحنا مش عايزينك أرجع مطرح ما جيت يا دكتور وقبل ما تعالج الناس عالج نفسك أنت والغندورة اللي جنبك

اشتد متين على يديه كاتمًا غيظه بداخله، ثم قال:

- اه امشي علشان تكملي سرمحه عند بيوت الناس؟

صوت صفعة مدوية صدعت في الغرفة، صوت يجمع بداخله مشاعر كبيرة لا تحمل الحب!

صوبت إصبعها نحو وجهه بغضب لا تستطيع إخماده بعد:

- إنتَ اخر واحد تتكلم معايا عن الأخلاق وإياك تفكر تعمل عليا راجل إنتَ زيك زيه بالظبط هو هجر أمي عشان مركزه وإنتَ نفس النظام

- عاش والله عاش ناقص إيه تاني يا ست ندا؟

صوت تالت خرج من خلفهم ليتبين أنه لوالدهم، ذلك الهاجر الذي خانهم لأجل الخوف على مكانته، ينظر لها بعلوٍ واستخفاف على ما تفوهت به، لم تستطيع أن تتحمل ذلك الضغط عليها منهم، صرخت في وجوههم بصوتٍ عالٍ ممزوج بغضب:

- اطلعوا بره انتوا الاتنين مش عايزاكم بـــرا!

كل هذا يحدث أمام أخيها الصغير، الذي قام

بدوره يحتضنها إحتواء، لم يتبقى له سواها

هي

التي تعمل وتشقى لأجله، تحدث إليهم باحتقار:

- احنا مش عايزينكم اطلعوا بره بقاا

لم يتحمل ماهر تلك الإهانة من أطفال كما

يراهم في نظره ليقول قبل أن يستدير مغادرًا:

- قدامكم مهلة وهتيجوا تعيشوا في الجنوب

معايا ولحد ما امهد الأمر للناس تجهزوا نفسكم

وكلمتي مش بعيدها مرتين!

غادر بعدما القي بكلماته في وجهها ليتبعه

متين، لا يتحمل نظرتهم له، كان يبغض على

أبيه والآن أصبح مثله وأكثر

جلست ندا محلها ومازالت محتضنه أخيها

قائلة:

- آه يا ماما آه بقيت يتيمة الأب والأم، هلاقي مين اشكيله همي وتعبي؟ مين هترمي في حضن اتحامى فيه من قسوة البشر؟ بنتك تعبت يـ أمي ندا بتموت بالبطيء

سكنت في حضن أخيها تبكي بصمت لتجد نفسها في حضن شخص آخر، مُعذبها وهلاكها أيوب، أخر شيء حضرته لها والدتها هي زواجها الغير مفهوم من أيوب

كانت صدمه ولكن تقبلتها والدتها ولم تتحدث بينما ندا تتعذب داخلها على زواجٍ أتم لسبب ليس إلا

لم تنسحب بل تشبثت في حضنه تستمد منه قوتها المفقوده ولا تعلم أن قوته فقدت مُنذ زمن.

- ممكن أعرف بتبكي ليه دلوقتي؟

كان هذا سؤال نِداء إلى شهد التي تبكي بلا توقف، كل المَاضي يتجدد أمام عينيها من جديد، نظرات الناس تأكلها وهمساتهم تشعل نارًا داخلها

نظرت لها شهد بعينين متورمه من البكاء ثم قالت:

- سيبك مني أنا قوليلي اتجوزتي أويس ازاي وهو بيحب شموس هو إيه اللي حصل؟

انكمشت وجهها بضيق على ذِكر اسمها، لاحظت شهد ذلك لتقول باعتذار:

- أنا آسفة والله مقصدش طب احكيلي اتجوزتوا ازاي

شردت نِداء بنظرها بعيدًا ثم قالت:

- قابلت أويس وهو قاسي وصعب مكنش في الغربة مقرب منه بحكم شغلنا غيري، لاني حلوة كانوا بيتعرضولي الشباب وهما عندهم متفتحين جدًا، أويس معجبهوش الحوار فـ طلبني للزواج وأنا وافقت أنا كنت معجبه بيه مش هنكر ده بس طبعه كان يخوف فعلاً لما نزل عرفت إني حامل في التالت وانا معرفش، كنت عايزة انزله بس خفت فقلت له وأعلن زواجنا قدام الناس

هزت شهد راسها بتفاهم ثم بادرت بشكٍ بها:

- بس فيه أدويه ملهاش علاقة بالحمل ليه بتاخدها إنتِ مريضة؟

- اه مريضة قلب!

نظرت لها شهد بصدمه منها، مريضة قلب هذ

ا يعني انها لا تتحمل لا الم الولادة ولا قلبها يتحمل التعب!

- إيه! طب واحتفظتي بيه ليه إنتِ متعرفيش أنه

خطر على حياتك يا غبية؟

- الحُب بيعمل أكتر من كده وإنتِ فاهمه طبعًا

جعدت وجهها باستغراب قائلة:

- قصدك إيه؟

ربتت نِداء على يديها بدمعٍ يلمع في عينيها قائلة:

- أنا شايفة نظراتك لجوزي وفهمت ده لما شوفتيه أول مره.. هتقولي طب ليه خليتك هنا؟

هقولك علشان أنا نسبه إني أعيش نسبة ضعيفة جدًا وخاصة أن القلب تعبان جدًا هسيب

بنتى وانا مطمنه عليها ان فيه حد هيحبها وخصوصِا عنده قلب زي قلبك

نظرات شهد لها ما هي إلا عدم تصديق لما تتفوه به! طفل سوف تكون مسؤولة عنه كيف!

أخرجتها نِداء بمرح من شرودها وصدمتها:

- على رأى المثل عندكم إحملي يا خايبه للغايبه

انطلقت صوت ضحكاتهم سويًا تحت نظرات متين يقف واستمع إلى حديثهم

تجلس في غرفتها تتأمل المِرسال الورقي أمام عينيها بفضول، لم يُرسل لها أحد مراسيل من قبل و خاصةً هذا المرسال الذي يميل للشكل الكلاسيكي، فتحته بحذر ثم أخرجت ورقة

عنوانـها علم فلسطين ممزوج بمصري

ابتسمت بعدما علمت هوية المُرسل، فتحت الرسالة لتقع عينيها على كلمات ما هي إلا دواء لجروحها الخربه

كانت الرسالة تنص على:

"عزيزتي صاحبة لمعة الشمس ورونقها كيف حالِك؟

لا أعلم هل اعتذر منكِ عن ما اقترفوه إخوتي الإحدى عشر شهرًا أم اواسيكِ؟

كل شهر مر حملتِ منه جنين الحزن و الألم

لم يرأف بحالك سوى نفسك!

أعلم يـ ذات عيون الغزال أن الأيام لم تمر بخير

أحلامك تحطمت بين يديكِ أمام مرأى عينيكِ

تخوضي كُل يوم حربًا بشكلٍ قوي

أعلم أيضًا أن بداخلك يئن من الألم

لقد جعلوا منكِ تلك الأشهر امرأة عجوزه لم

تتخطى سن أل عشرون حتّىٰ!

أوعدك أن أرافقك في أيامك المقبلة، و أن أبقى

حنونًا عليكِ إن عاداكِ العالم!

اتكلم نيابة عن هذا الشهر لأني أعلم كم تُحبيه

وتختبئ فيه من وحشة الأم، دهام الشريف"

ابتسمت بعدم تصديق على جنونه وكلامه الذي

نجح في ملامسة قلبها، هذا المجنون يصيبها

يومًا بالجنون

أغلقت المرسال بابتسامة لم تستطيع أن تكتمها

بعد بل ظلت على هذا الحال، همست في نفسها

براحة:

- عوض الله غالٍ وما أجمل عوض الله!!

الفصل الثاني عشر

نظرتُ في عينيكِ، رأيت مكتبةٍ واسِعة

بحثت في داخلها عن كِتاب عن الذات، لم أجِد

ظللت أبحثُ كالمجنون في السجن؛ فلم أجد

ولم أعلم وقتها أن الذات يتلاقى في من نُحب

من يأخذنا حيثُ الأمان لا السراب

و إلى أن أجدِك فأنا بلا ذاتٍ يـ عزيزتي

هل أحبها؟ بالطبع لا هو لا يرتاح إلى صنف

من النساء

تعلق بها؟ نعم هكذا يستطيع أن يُقنع نفسه

بذلك

علمها بمرضه اللعين كانت صدمة بالفعل، لا

يقبل أن ينظر له أحد نظرة شفقه وهي امرأة!

تغفي أمامه على الفراش بوجهها المُنهمك أثر

الأحداث الأخيرة، ما مرت به ليس خيرًا أبدًا وصمتها هذا يقلقه.

أصبح يراها شخصًا مُهمًا ومميزًا، هل سمعتم يومًا عن التعلق من أول نظرة؟

تحدث الكثير عن الحُب والعِشق كثيرًا؛ اما التعلُق أقوى ما يمُر بهِ المرء.

ملامحها الخمرية تحمل من طباعها الشرسة.

والطبع الشرس لا يأتي سوى من قسوة الأيام.

ذكرى زواجهم كانت غريبة نوعًا ما ولكن قد تم

Flash Back

- مقولتش ليه إنك مريض بالكانسر!

وقف أمام وجهها بصدمه من معرفتها بالأمر الذي أخفاه عن الجميع:

- مين اللي قالك؟ مين سمحلك تفتشي في حاجتي!

استنكرت ندا رده الغير لائق على مريض كمرض هذا، تابعت حديثها بنبرة قوية عنيدة، قائلة:

- أنا مشفتش في حاجه ثم إيه الأنانية اللي إنتَ فيها دي ها؟ مفكرتش في ابنك مُدثر؟ هيكون ليا مين بعدك

كلامها يُعاند طبعه وهذا ما يكرهه، رمقها بعينين غاضبة قائلًا:

- أوامر حضرتك عشان انفذها يا مُعلمه ندا هانم؟

- بتتريق!

- جدًا تريقه خفيفه على قلبي جدًا

برقت بعينيها أثر بروده و إستفزازه لها، يستفز مشاعرها الأموي تجاهه

- دا إنتَ مُستفز جدًا

اقترب بوجهه تجاه وجهها بمسافه ليست ضئيلة، هامسًا:

- ده اللي علموا ليكِ في اللغة يا معلمة ابني العزيزة

كادت أن تنفجر من برودة الغير معقول، استجمعت شتات نفسها ثم قالت:

- تتجوزني؟

- رمي جتت ده ولا أنا مش واخد بالي؟

- يا ابن المستفزة

همست بها في نفسها فلم تتوقع ردة فعله ما هي، تحدثت بجدية شديدة قائلة:

- كلامي مش هزار لسيادتك أو محل للضحك حضرتك، أنا عرضت لصالح مدثر وبمجرد ما تكون كويس وتتعالج وقتها هطلب بنفسي الطلاق منك.

هز رأسه يفكر حقًا في عرضها، هو لم يضمن حياته بهذا المرض اللعين وطفله مازال صغير وليس لديه أحد، أقربائه يطمعون في أملاكه وموته سيكون كنز ثمين لا يستغني عنه بسهولة، بينما هي يعلم عنها كل شيء ولديها عزة نفس عزيزة لا تملكها معظم الفتيات:

- موافقة، يوم الجمعة بعد صلاة العِشا هكون موجود مع المأذون وتكوني قولتي لمامتك، بس بحذرك حد يعرف بالمرض قسمًا بالله ما هرحمك.!

ابتسمت بانتصار ولكن داخلها ظلام دامس، لا يحيطه سوى الوجع والحزن، نفسها تلومها على هذا القرار الغير صالح بينما صوتٍ آخر يحثها على القدوم والتشجيع

وبين هذا وذاك هي تائهة بين ما تُريده، وما ادراك حيرة المرء يـا عزيـزي!

Back

ابتسم للذكرى التي أصبحت الأقرب له، ربت على شعرها المتمرد قائلًا:

- كل مُر سيمُر ولكل ليلٍ صباح، وكل شتاء صيف، ولكل صيف ربيع.. وأنا جنبك

- لما واحد اتقدملك مقولتليش ليه ها عدمتي أبوكِ بدري يا صايعة!

اهدئي

اهدئي

اهدئي

تصبر نفسها بتلك الكلمة حتى لا تنفعل وينتهي النقاش الحاد بخسائر عليها، استدارت له بملامح ثابتة ثم قالت:

لأنه ببساطة اترفض في ساعتها شخص لسه بياخد المصروف من أبوه اتجوزه ازاي؟

إحمر وجه والدها من الغضب:

- بس مبسوطين ومعاهم فلوس وهو خليفة شركات أبوه مال أمك بقا بياخد المصروف ولالا؟ اه ليكون فيه حد عارفينه من ورانا

صرخت في وجهه بغضب من كلامه المسموم هذا:

- أنا مش كده حرام عليك عايزني اترمى في

النار ليه؟ هو انا مش بنتك؟ اقسم بالله تعبت منكم

تركته وذهبت مسرعة إلى غُرفتها ببكاء كبير، خلفها والدتها تحاول جاهده أن تخفف عنها ألم تلك الكلمات!

فكرة أن أب يتهم ابنته بتلك الإتهامات صعبة جدًا، لا يقبلها العقل ولا يتخطاها القلب!

- علشان خاطري يابنتي لو عايزك وكويس وافقي و امشي من هنا كفاياكِ ذل

- و اسيبك هنا؟ لا مستحيل هيخليكي تشتغلى في البيوت من ورايا لا

قامت والدتها ثم ختمت حديثها بقولها:

- فكري يا أمنيه لأخر مرة علشان خاطر أمك يابنتي

وتركتها وذهبت بينما ظلت هي على حالها تنعي
حظها وتحاول جاهدة أن تواسي نفسها عزاءًا على ظلمات لياليها.
- هوافق بس شروطي تقلب موازينك يا هه ابويا
- إنتَ المجنون اللي بعت المرسال؟
قالتها شموس بعدما جلست أمامه عند البُحيرة، ابتسم هو بدوره من وجودها و فرحتها بالمرسال يظهر في عينيها، اعتدل أمامها ثم قال:
- هل أعجبكِ حقًا؟
قالت بتأكيد:
- أينعم فكرة مجنونة وأنا بميل للكلاسيكي

فحبيته.

ثم غيرت سؤالها لأخر جدي، قائلة:

- ممكن أعرف بتعمل معايا كل ده ليه؟

شرد فيها قليلًا، هو حقًا لا يعلم!

شعر أنها تحتاج لمن يطمنها كما كان يحتاج هو

هي طفلة جعلها الزمن عجوز

يحب قضاء الوقت معها والحديث عنه

يرى نفسه فيها

قد يكون أحبها ولكن هل يصح ما يفعله!

خرج عن صمته الطويل قائلًا:

- ستصدقني ان قُلتُ لكِ إني لا أعلم؟ أحب قضاء الوقت برفقتك والحديثُ عن وطني معكِ، ربما اراكِ حزينة مثل أهل فلسطين لكن جميلة

كالقدس

توردت وجنتيها أثر حديثه الجريء، صوت خلفهم جعلهم يقفون بفزع ولم يكن سوى الشيخ يوسف، الذي ينظر لهم بغضب فهمته شموس جيدًا، تنحنح دهام ثم قال بابتسامة واسعة:

- اووه شيخ يوسف أهلا بكَ، لقد سمعت عنك كثيرًا

- أقعد

قالها الشيخ بحدة ليجلسون معًا، بادر الشيخ لـ دهام بسؤال:

- قولي يا ابني بتشتغل ايه؟

مازالت الابتسامة كما هي لتوسع أكثر هو يقول بفخر:

- لم أعمل يا شيخي لكن كثير التردد على المسجد و لا اتكاسل عن أوامر الله!

- هممممم و ربنا قال نعبده من غير ما نشتغل؟

انطفأت الابتسامة من على وجهه ليقول دهام بتردد:

- لا أفهم!

شبك الشيخ يديه بجدية ثم قال:

- حسنًا دعني أفهمك، الإسلام مش عبادات وبس الإسلام عبادات ومعاملات، العبادات ذُكِرت في كتاب الله "275 مرة، "العَمل 359 مرة "، العلم والمعرفة 811 مرة!

- الدين مش الحصر داخل المسجد والإغفال عن العمل والعلم ، إذا ركزت قليلا سوف تجد أنهم عدد ايام السنة الهجرية وهذا يعني أو

إشارة إلى أن العمل كل يوم حتى في يوم الجمعة! إذا كنت تملك مبلغ فإبدأ بالعمل يابني لا تؤجل عملك لأي سبب، يحق لك الإجازة في حالٍ واحد وهو الخروج من العمل للصلاة والرجوع للعمل مرة أخرى!

ذُهل دهام كثيرًا من هذا الشيخ، لا ينكر أنه حمسه كثيرًا للعمل وداخله يأنبه على إغفاله عن العمل، استدار إلى شموس قائلا:

- أنا لدي مبلغ محتفظ به، ما رأيك في فتح مصنع لملابس النساء؟

- لبس نسوان اممم

أسرع دهام يتحدث بنفي:

- لا اقصد اقسم لكِ لا اقصد، أنا أقصد أن نصنع لبس محترم للنساء وستكونين مسئولة

عنه.

ربت الشيخ على كتفه بحماس:

- ونحن سنساهم، مُبارك لكَ يا بني و من بعد الآن لا حديث لكَ مع شموس حتى تقف على قدمك وتتزوجوا

- اووووه ما هذه القسوة يا شيخي

تعالت ضحكاتهم بحب وحماس ودفا لأول مرة يشعر به دهام.

الفصل الثالث عشر

ينظر إلى المصنع الخاص به بفخر

لقد قام بتأسيسه بمساعدة أهل الحي

أصبح كما كان يتمنى

وفي الخلفية هي تحتل عقله بقوتها وشجاعتها شمسه!

شعر بأحد يسحبه إلى جانب ليجده أويس

- جبتك علشان تدخل حياتها وإنك بتتكلم عامي زينا مش زي ما هي مفكرة هتعمل إيه يا روميو عصرك؟

لكزه دهام في صدره بغضب قائل:

- اتلم يا أويس هي ما عادت تهمك وانا هحكيلك كل حاجة

رمقه أويس بفتور ثم غادر بينما وقف دهام

بغضب من نفسه ومن رفيقه، لو علمت سيخسرها إلى الأبد وخاصةً أن جرحها لم يلتئم بعد!

استدار ليخرج ليجدها أمامه!

صدم من وجودها أو أن تكون سمعتهم وعلمت ماهيته!

لم تعطه الفرصة ليتقدم بل تقدمت منه بنظرة لا يستطيع تحليها، نكزته بإصبعها في صدره قائلة:

- أنت أحقر إنسان أنا قابلته في حياتي

ثم غادرت على الفور، اما هو ظل مكانه يستوعب للتو، لقد خسرها حقًا! لقد نعتته بـ الحقير!

دهام خسر شموس!

للحظة شعر بالهزيمة،

الكسرة،

الخسارة

مشاعر متضاربة تضرب عقله دون رحمة،

استوعب ماذا يحدث حوله ويهرول خلفها

بخوف كخوف طفلٍ يريد والدته

قابل في طريقه الشيخ يوسف الذي قال بدوره:

- ما شاء الله المُبيعات بتخلص مُبارك

لا يهتم لما يقوله بل قال بتسرع:

- انتبه على المصنع أرجوك حتى أعود

هرول مع آخر حرف خرج من فمه، خمن مكان

وجودها يسرع إلى هناك

* * *

عادت إلى وحدتها من جديد

إلى خِذْلَانـهَا

كسرتها من جديد

أبكي على حالها أم على ماذا؟

خذلها هو الآخر بكذبته عليها، لماذا يحدث معها كل هذا!

وقفت في منتصف المكان الخالي من الناس ثم بأعلى صوتها أطلقت صَرَخَا عاليًا، لم تكن صرخة عادية بل نبته من زرع الأيام وقسوتها، ظلت تصرخ بلا رحمة حتى جُرح حلقها ونزف، وصل دهام على صوت صراخها ليجدها في حالة بشعة!

تضع يديها على أذنيها وتبكي بقوة شديدة، هرول لها عندما رأى الدم الذي يُسيل من فمها، لم يكترث لها بل شدها إلى صدره بقوة

يحتويها بين ذراعيه يحميها، تبكي وهو يبكي معها لا يُصدق حالها الذي وصلته، أبعدها عن صدره ثم رفع وجهها قائلًا:

- اهدئي أرجوك لا تبكي، شموس أنا أبكي معك لا تبكي فضلًا!

لم تستمع له بل تنظر إلى تاريخ حياتها المحمل بالصدمات القاسية، أفاقت على صوته الباكي وهو يقول:

- أنا أعتذر منكِ لكن لا تبكي أرجوك، والله أحبك من قلبي ولا يهمني أي شيء لا يُهمني سواكِ يا شمسي

ابتعدت عنه بنفور، ودت لو تتحدث لكن جرحا حلقها يؤلمها رمقته بنظرة باردة غير مرحبة به و بكائه حتى!

توسل لها وما أدهشها حَقًّا بكاؤه، لماذا يبكي!

هل كل هؤلاء البُكي لأجلها حَقًّا؟!

كأنه قرأ أفكارها لتقترب خطوة وهو يقول:

- أنا لا أتحمل العيش بدون، لا تجعليني أجرب شعور اليُتم مرتين، لقد فقدت وطنيا للتو أيهون عليكِ أن أفقد وطني الثاني!

كلامه كالخنجر يضربها ضرب، رمقته بنظرة أخيرة قبل أن تقول:

- يُتعب الوطن أيضا وربما يموت للأبد، ربما فقدت وطنك لكن أنا فقدت اَلْحضْن والوطن والأمان!

ثم غادرت بخيبة تضربها، ربما نخسر لكن خسارة الوطن لا يُقدر بثمن!

يجلس بين والديه بنفاد صبر، يقنعهم بكل قوته

عنها ولم يعلم أنها شَخْصِيًّا ترفضه، رمقه والده بنظرة غير مُريحه قائلًا:

- أنا مش هوافق على الجواز ضده أَنْتَ شكلك اتجننت فعلاً

زفر "إبراهيم" بغضب موجه حديثة إلى والده:

- مالها الجنازة افهم بس! هو أنا مش من حقي اتزنت تجوز

- ولد أسلوبك!

صمت إبراهيم أمام غضب والده العاصف، عم السكون عليهم لثوان قبل أن يقول والده:

-عندي شرط

نظر إبراهيم بلهفة ليُطفئ والده لهفته بجملته:

- بعد سنة بالضبط يكون حفيدي مشرف!

الفصل الرابع عشر

"ابنة مَن!"

يجلس بين والديه بنفاد صبر، يقنعهم بكل قوته عنها ولم يعلم أنها شَخْصِيًّا ترفضه، رمقه والده بنظرة غير مُريحه قائلًا:

- أنا مش هوافق على الجواز ده أَنْتَ شكلك اتجننت فعلاً

زفر "إبراهيم" بغضب موجه حديثة إلى والده:

- مالها الجنازة افهم بس! هو أنا مش من حقي اتزفت اتجوز

- ولد أسلوبك!

صمت إبراهيم أمام غضب والده العاصف، عم السكون عليهم لثوان قبل أن يقول والده:

- عندي شرط

نظر إبراهيم بلهفة ليُطفئ والده لهفته بجملته:

- بعد سنة بالضبط يكون حفيدي مشرف!

تطلع له "إبراهيم" بصدمة من تفكيره وطلبه الغريب!

هل حَقًّا ما سمعه صحيح؟ هي لم ترضَ بهِ بسهولة ليجعلها أما!

حاول كبت غضبه بصعوبة هامسًا:

- نسيب كل حاجة لوقتها المُهم أبدأ اشتغل معايا وأبني نفسك

تطلع والده بشكٍّ من تغيره المفاجئ، مُنذ متى يهتم بالعمل؟ هل كُل هذا لأجلها؟ صمت ولم يُعلق على حديثه سيكون دوره مُشاهد فقط.

* * *

حاول جاهدًا أن يُخفف عنها ألم الأيام الماضية،

لم يتركها وحدها بل ظل جانبها خطوة خطوة، ربما تعلق بها وربما أحبها.. لكن ما يعلمه هو جيدًا أن لا مجال لفقدانها!

يجلس على الفراش يعمل بمجهود أغفل عنه، يكثف من عمله تعويض للأيام الماضية، دخلت لتراه كما تركته منهمكا في العمل

أسرعت تسحب منه الكتاب بغضب، قائلة:

- صبح ظهر عصر ليل شغل، حضرتك ناسي أنه فيه راحة عشان علاج بعد كده؟

تطلع إلى الكتاب المسحوب لثوان ثم إلى إليها، ثم قال بهدوء مُصطنع:

- عايزة إيه يا ندا على الليل؟

استنكرت ردة البارد مما جعل الغضب يتأجج داخل صدرها، ثم صاحت فيه:

- متتباردش على الليل ليه بعيد عن مدثر؟ ليه مش مدى لنفسك راحة وأنت عارف إن الأيام الجارية مش راحة؟

أخذ نفس عميق لعله يتخلص من الأمة الداخلية وتُريحه!:

- وليه متقوليش إني بضمنلك حقكم وحياة من بعدي؟

أمسكت كفه بخوف من الفكرة نفسها، تعلقت به ولا تشعر بالحياة بدونه، تطلع إلى يديها ثم إلى عينيها المليئة بالدموع، ثم قالت:

الفكرة نفسها صعبة، متخلنيش أعيش نفس إحساس الفقد مرتين أنا ومدثر ولا حاجة من غيرك كلامي مش مترتب أو مفهوم بس والله فكرة إني افقدك مش مقبولة والله

ضمها إليه بحنان لم يبخل عليها منه،

حينما هجرها الجميع تبقى هو بجانبها

واساها وضمها إلى كنفه

همس في أذنها بغزلٍ جديد عليه لم تسمعه هي

من قبل قائلًا:

لم تتركيني ولم أتركك

أنتِ نصفي وأنا نصفِك

أنا الداء وأنتِ الدواء

أنا الريح وأنتِ شمسي

أنا الشتاء وأنتِ الربيع

أنتِ الليل وأنا فجرك

أنا الشيء وأنتِ كل شيء

غمرت نفسها داخل صدره بوجهٍ يكاد ينفجر

من الخجل

لم تعتد منه على مثل هذه الكلمات.

ربت على شعرها المكشوف بهدوء ثم بادر بحديثه مرة أخرى قائلًا:

- سيبي كل حاجة على الله ورب الخير لا يأتي إلا بالخير، كل ما عند حبيبي حبيبي

- ونعم بالله

* * *

كالأسد الهائج يأكل الغرفة ذهابًا و إيابًا بغضب شديد

فكرة فقدانها غير راضي عنها وجدها في غربته لتجعل له وطنه ليأتي هو ويفقدها كل شيء

أمامه أويس جالس بلامبالاة، نظر له دهام بغيظ ثم هدر بغضب قائلًا:

- إيه البرود بتاعك ده أنتَ السبب في اللي أنا فيه!

هز كتفهُ ببرود مبالغ قائلًا:

- مش أنتَ اللي عاملي فيها روميو عصرك ابلع بقا ثم ازاي حبيت شموس!!

توقف دهام أمامه لبرهة من الزمن ثم قالَ غير عابئًا بتأثير الحديث:

- الفكرة مش حبيتها إزاى الفكرة انك مبتحبش و مبتعرفش تحب ومش هتتحب طول ما نرجسيتك وغرورك مسيطرين عليك، شموس بتحب بجد وحب كله إخلاص ووفاء نبص ليك إيه اللي بتديه لمراتك اللي حامل منك وبطنها كبيرة ومعرفتش بالولد غير لما خلاص أزفت الآزفة، شموس كانت محتاجه عوض حقيقي

مش استهلاك في طاقتها اللي مش موجوده

بفضلك، عرفت إيه الفرق وليه حبيتها؟

- دهـــــــام!

هدر بها أويس بغضب يرمقه دهام بنظرة

حارقه ثم قال قبل أن يغادر:

- أنا لو خسرت شموس أعرف إنك خسرت

صاحبك اللي قصدت تعمل فيه كده.

غادر دهام ليبقى أويس بمفرده، لا يُشغل باله

سوى حديث دُهام، هل هو خاطئ لهذه الدرجة؟

هل ظلم زوجته و شموس؟:

- آهٍ عليك يا أويس العقد ينفرط من يديك

بسهوله!

"هل يشترط في الحُب الحنين؟

أي واللهْ"

- أنا موافقه طبعًا عايزينه احتفال يبرز شهرتنا أكتر

- امممم خلصانه هقابلك بكرة في ميعاد الجامعه نشوف هنعمل إيه، باي.

تمطعت بذراعيها بسرور وهي تقنع نفسها أن ما تفعله صحيح والحياه تُعاش مره واحده

دخلت شموس علي أختها الصغرى لتجدها مبتسمه لنفسها، جلست مقابلها ثم قالت:

- إيه سر السعادة دي يا رهان؟

نظرت لها بسعادة ثم قالت بفخر:

- تميت الـ 100،000 علي الانستجرام.. اتشهرت يا شموس

انتفضت شموس في جلستها بهلع قائلة:

- أنتِ بتقولي إيه؟ شهرة إيه اللي فرحانه بيها

وازاي العدد ده عندك

لوت جانب شفتيها بابتسامة ساخرة، قائلة:

- هبقى بلوجر وبنزل فيديوهات ليا وصوري فيها حاجه؟

- فيها قتيل على دماغك يا محترمه مستبيحه شكلك وجسمك وحياتك للي يسوى واللي ميسواش؟

ردت أختها بفتور بارد:

- مش أفضل من قصص الحب اللي عايشين فيها وياريتها بتكمل..

قطعت حديثها السام بصفعة قوية نزلت على وجهها ليدي صوتًا كالصفير داخل أذنيها، يبدوا أن أختها نسيت نفسها وسارت خلف الشهرة اللعينة! وكأن أحد لم يعد كلمة عليها

لفت شعرها الطويل حول يديها بقوة مما ألم

رهان بشدة، لم تبالي بصراخها قائلة:

- محدش هيعيد تربيتك غيري أقسم بالله لأكون مربياكِ من جديد

دخلت والدتهم على صراخهم لتجد شموس تمسك بخصل شعر رهان ورهان تصرخ تستنجد بها، أبعدتها عنها بغضب ثم قالت بعدم وعي:

- مالك ومال بنتي يابنت ماهر!

تصنمت شموس مكانها وكأن صاعق كهربي ضربها للتو:

- ماهر! ماهر مين؟

الفصل الرابع عشر

الصدمة

كلمة تتكون من ستة أحرف

متاهات

خوف

خُذلان

حادت ببصرها نحوها ومعالم وجهها لا يوحي بشيء!

- ماهر! ماهر مين!

للحظه أدركت فداحة ما تفوهت بهِ بعد، كيف بعد تلك السنوات تُعيرها بأبيها الحقيقي؛ التي لا تعلم عنه شيء!

يالمُصيبك

يا لفداحة أمرِك يا أم روهان!

ما ذنب تلك البائسة في حياة لا تكن اختيارها

يوم!

ما ذنبها في أبيها الذي لا يُعيرها أدني اهتمام

بعدما علم أنها أنثي!

ما ذنب ذلك الروح الذي زُبح مئات المرات

دون رحمة!

عن ماذا تُجيبها؟

عن عشقها لأخيها ولم تعلم أنه أخيها!

أم عن تبري والدها منها عندما علم بصفتها!

أم عن والدتها التي رمتها لترى حياتها غير

مهتمه بها!

عن ماذا وماذا وماذا!

حسرة عليكِ يا شموس

لم تذر شمسك يومًا عليكِ؛ بل حييتي في ظُلمة

وعشتِ بها

يقولون أن المرء ينال من اسمهِ نصيب

لكن هي لم تنل سوى الظلام بعتمة القمر وفقر السماء بنجومها.!

أخرجتها من شرودها المُرتجف صرخة شموس بها، تدعوها، تتوسل بها تتكلم:

- قولي الحقيقة متخبيش عليا حاجة أنا بنت مين، وانتوا مين كلامك مش مجرد كلمة وخلاص! أنتِ ناديتني باسم راجل تاني!

ارتجفت شفتاها بتوجس وخوف نابع من جوفها، أمسكت ذراعها بتوسل:

- أرجوكِ قولي كفاية بقى سكوت!

نظرت لها بتوجس وخوف مما هي مُقبلة عليه من حديث، قبل أن تقول:

- من زمان جدًا كانت أمك صاحبتي وأعز صحابي كمان، حكيتلي عن واحد غني وإبن اكابر وحلو عايز يتجوزها بس في السر، أمك طبعًا وافقت بدون تفكير وحملت فيكِ ولما خلفتك كان على كلام الدكتورة إنك ولد، لكن يوم ولادتك اتصدم من انك بنت مش ولد وده مكنش في حسابات "ماهر الرفاعي" هو عاوز عزوته صبيان أمك طلبت أنه يعلن جوازهم علشان تعيشي في النور رفض وهددها ورفض يكتبك وهرب، أمك شالت منك واعتبرتك نحس ورمتك ليا بنت أسبوعين وكتبتك باسم ابوكِ الحالي وعِشتِ على الأساس ده

تقدمت روهان بصدمه من كم الأحداث القوية على شموس

أحداث لا يُصدقها سوى عقل أحمق فقط!

- طب ليه مقولتيش لماهر عنها وأنتِ عايشه هنا في بلده تحت حُكمه!

خفضت والدتها رأسها بخزي قائلة:

- خوفت يا بنتي عليها وعليكِ وعلى أبوكِ الغلبان ده راجل رمي مراته بـ 3 ولاد لما حس أنه مُهدد من مركز أم أويس فسكت

أين هيَ!

مَن هيَ!

ابنة مَن! !

لأي عالم تنتمي!

هل عالم البشر ذو القلوب؟

أم الوحوش عديمي الرحمة!

ندبة يعقبها ندبة

جرح يليه جرح

وجع يليه وجع

يا الهي؟!

يتيمة

شاردة

تائهه

فاقدة النسب!

لأبوين على قيد الحياة!

تركوها بمِلء إرادتهم!

يا لحظك يا شموس!

عيونها تائهة وقلبها يأبى الاعتراف بما سمعه

أذناها

ولكن هذه الحقيقة!

هل من حقيقة أخرى بَعد؟ بالطبع لا

قوية؟

أصبحت الكلمة مُحرمة في قاموسها، لم تعد

قوية بَعد

ضعيفة؟

جرحها كفيل أن يجعلها هائجة، عن أي ضعف

تتحدث!

تائهة؟

نعم تائهة في عالم أصبح غريب عليها، لا

تنتمي له ولا تشبهه!

إذًا هي ابنة ماهر الرفاعي!

ذلك الرجُل الذي ذاقها لوعة عذاب الحُب من

قبل!

حسنًا ستُقيم الدنيا عليه انتقاما وليس طمعًا في

نسب

قامت بسرعه كالملدوغة بعدما زاحمتها أفكارها كرياح الخماسين!

تطلعت إلى "زينب" والدة روهان بأمل صغير تتمناه:

- معاكِ اي ورق يثبت ده؟ قسيمة جواز ليه وليها أي حاجة؟؟

هزت زينب رأسها بإيجاب ثم أسرعت نحو الخارج لتتبعها شموس بتوهان لا يُغفل.

أعطتها ورقة تثبت جواز والدتها ووالدها، اخذتها شموس بلهفة وقسوة لمعت في عينيها، لمعت قهر وظُلم

- محدش هيدمرك غيري، وده وعد من شموس الـ هه الرفاعي.

"بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في

حلال"

انطلقت صوت الزغاريد كالعصفور من العُش

فرحة له وجنازة لها

أجبرت عليها إرضاءً لوالدتها البائسة

عن أي فرح يتحدثون!

تقدم منها بلهفة وبدون مقدمات كان يحتضنها

بلهفة أمام الجميع بدون خجل، حُضن صائم

حُرم عليه الأكل بدونها.

كانت بالنسبة لها حركة مفاجئة

أن يحتضنها وسط الجميع بدون خجل!

الجميع يتهاتفون عليهم

من نالت قلب "إبراهيم أصلان"

الفتى الجامعي العابث

تصفيق يليه مشاكسات لهم من الأقارب

والزُملاء!

أنزلها برفق على الأرض بفرحة لا تسع صدره

بَعد!

همست له بغيظ من فعلته الجريئة، قائلة:

- إيه اللي إنتَ عملته ده؟ إنتَ اتجننت!

نظر لها بعينين تلمعان بفرحة قائلًا:

- أنا النهاردة أسعد يوم في حياتي بجد

اشاحت بوجهها في صمت بارد، الفرحة تبدوا

على وجهه حقيقية

ما لها على قلبها سُلطان!

نال من الأقربين صدمات باتت على قلبها

بصمه

لم يُحبها القريب، هل يفعلها الغريب؟

أي غريب هذا!

أصبح زوجها، يكاد يطير فرحًا بها

أليس من حقها تفرح! وتُفرِح بهِ

ألم يستحق الفرصة؟

ألم تستحق هي؟

صوت من بعيد يهتف برجاء يقول:

ـ كفاكِ حُزنًا على نفسِك أيتها البائسة، الم تستحقِ ذلك الرجل والفرحة! لقد خُذلتِ من مَن أحبتِه يوم، ومن رباكِ والآن لم يعد لكِ سواه تنهدت بثُقل قبل أن ترسم ضحكة واسعة على ثغرها للناس وكأنها تقول

"الآن أصبح الفرح لي، والنصيب من السعادة لي"

أمسكَ يديها ثم سحبها نحو المكان المُخصص للرقص

أخذ يراقصها على الأغنية، بادرت هي بسؤالها قاطعه للصمت قائلة:

- ليه اختارتني عن كل البنات؟ ليه حبيتني؟!

تنفس بعُمق قبل أن ينظر لوجهها المُستدير قائلا:

- أول يوم دخلتِ فيه الكُلية جذبني أسلوبك وتحفظك، طريقة لبسك وخمارك والجوانتي! هزارك وخفة دمك مع البنات وتحفظك مع بعض البنات، حنيتك اللي حببت الكُل فيكِ وحبك للناس رغم الحزن المرسوم في عنيكِ

- وقتها قولت دي واحدة تصلح للحُب بس، حد يداوي أحزانها ويطيب جروحها، أنا كنت أبان شخص مش كويس بس دي الوسط اللي اتربيت فيه بحاول ومستني انتِ تغيريني وأنا

كُلي ليكِ

تطلعت داخل عينيه لترى طفلًا جائعًا

طفلًا يُريد حضن أمه

وحنان أبيه

هو يحتاجها ليتخلص من عبثه

وهي تحتاج يداوي جروحها

هما نصفان كُلا منهما ناقصان ينتظران

بعضهما يكملان السطر سويًا

احتضنها بذراعيه لتضمه هي بدورها ضمة

قوية

ضمه استخلصت فيها معاني الصبر والتحمل

ضمه يحتاجها وتحتاجها أكثر

على الطرف الآخر

عيناه تنزف المًا

يكاد يقسم أن صوت كسرة قلبة يسمعها!

أنتِ، وحزني أنتِ، وكسرتي أنتِ

تقف أمام المرأة بعدما خلعت ثوب الزفاف

وارتدت ثياب النوم

الخجل ياكلها من الداخل

ووجها يكاد ينصهر خجلاً

دلف عليها ليجدها في انتظاره، تقدم منها

ببطئ ثم وقف أمامها

رفعها من كتفيها ثم نظر إلى عينيها

يُشبع عينية من وجهها الحسن حلالًا

همس لها بعشق يقطر من بين حروفه قائلًا:

- سُبحان من زين النساء بالحياء لتكونِ

سيدتهم

سبحان من زين الوجه بالجمال لتكونِ ست

الحُسن تستحق الدلال

كان حُلمي النظر إلى وجهك، فمنّ الله عليّا

بصاحبة الوجه

يا لحُسن حظي بكِ!

الفصل الخامس عشر

- شهد إنتِ اتجننتِ!

هتفت بها نِداء باستنكار إلى شهد التي تقص شعرها ، سحبت منها المقص بغضب ثم قالت:

- بتقصي شعرك ياغبية؟

التفتت إليها شهد بعيون باردة، ليست مفهومة ثم قالت:

- هو كل واحد يقص شعره مجنون! هتبطلي تعامليني على أني مجنونة امتي؟؟

شعرت نِداء ببعض الحرج؛ لتقترب منها قائلة بأسف:

- آسفة بس والله خايفة عليكي مش أكتر!

أخذت نفس عميق قبل أن تُعقب على حديثها ببعض السُخرية:

- أنا قعدت في مصحة سنين اتعالج علشان اواجه البشر، تخطيت بعزمي كل اللي حصل فـ متقلقيش اتعافيت من الجنان من زمان ولو كنت عاوز أعمل حاجه كنت عملتها من زمان!

وضعت نِداء يديها خلف ظهرها بوجع حقيقي لا يُطاق، اقتربت منها شهد بحذر وخوف من داخِلها تقول:

- مالِك يا نِداء؟ حاسه بإيه؟

ضغطت على شفتها السفلية بغيظ من الألم، ثم هزت رأسها بدموع:

- وجع فظيع وقلبي بيوجعني أوي الحقيني مش قادرة

الم قلبها ومعدتها كثير عليها بالفعل!

شعرت بالدوار لتستسلم مرحبة به بصدرٍ رحب

آخر ما استمعت له صرخات شهد تناجي أحد!

بينما شهد تائهة ونداء راقدة بهذا الشكل المُفجع

حضر كلًا من ماهر وأويس على الصوت ليجدوا المنظر كالآتي

نِداء فاقدة لوعيها وشهد تحاول جاهدة أن تخفف ألم قلبها بجهل عليها

حملها أويس بلهفة ثم جاء ليضعها على الفراش لتمنعه شهد بقولها:

- لا نِداء مريضة قلب لازم تروح المستشفي حالًا!

مريضة قلب!

مَن مريض قلب!

نِداء! مُستحيل!

هكذا راوده نفسه وعينيه تأكل وجهها إنشًا

إنشًا وبطنها الكبيرة بقلق.

هرول خارجًا وشهد خلفه بينما تبقى ماهر هنا،

زاعِمًا أنه لا يستطيع الخروج كالسابق

ولكن هل يهتم أويس بكونه معه أم لا؟

لقد خُذل منه آلاف المرات، هل سيُعقب عن

هذه المرة دونّا عن مرات كثيرة!

سيكون أحمَق لو فعلها..

اخذوها مِنه عند الباب قاصدين غُرفة العمليات.

تبقى في الخارج أويس وشهد ودهام الذي

انضم كي يجاور رفيقه في محنتهُ

ربت على كفهِ بحنان يغلب دائمّا طبعه، يقول:

- لا تقلق ستكون بخير هي والطفل

بينما رمق أويس شهد وكأنه استوعب انها

ادعت أن نداء مريضة قلب، تقدم منها ثم سأل بفتور قائلًا:

- عرفتِ ازاي أنها عندها القلب؟ وعندها امتى وإزاى!!

فركت يديها بتوتر من نظراته الحادة وقربه الغير مطمئن لها،

حاولت أن تبعث لنفسها القوة وهي ترى نفسها أمام اختبار لا يُقهر

تنفست بعُمق ثم حدت من نظراتها، ثم قالت:

- قالتلي قبل كده أنها مريضة قلب في مرحلتها الأخيرة واحتفظت بالطفل رغم تحذير الدكاترة علشانك، و قالتلي إنك عارف

تعلم أنها كاذبة في جملتها الأخيرة

لكن ما حيلتها ومازال هُناك رواسب

يردها خطوات للخلف! ما حيلتها هي!

- أستاذ أويس؟

استدار أويس للدكتور الذي ألقي بما لا تشتهي

الأذن سمعه

ولا العقل تقبله

- البنت في الحضانة والهانم للأسف مريضة

قلب وقلبها مستحملش البقاء لله وحده.

لم أكن بهذا السوء

ولا تلك القسوة

أنا جنين ليل طويل

نهار شاق

روح تمزقت قبل الميلاد

أنا الحزين وسط الفرح

والباهت وسط النور

أنا جنين الأيام ليس إلا"

- قول لـ ماهر الرفاعي إني هِنا

اندهش الحارس من جرأتها وتجريدها من لقب

سيدة

فعل ما تود، دقائق كانت تقف أمامه بنظرات

متحفزة للهجوم عليه

في هذه اللحظة تود قتله

احتضانة

الصراخ في وجهه

السؤال عن أشياء كثيرة عجزت هي عن فهمها

فردت الورقة أمام وجهه والكُره ينبع من

عينيها كالماء الطليق

أما هو، عندما نظر إلى الورقة شعر وكأن

الأرض تميد من اسفله

الماضي بكل سلاسة يتكرر أمامه كفيلم

رفع عينيه عن الورقة لينظر لها بدقة

ولأول مرة ينظر لها بتلك النظرة الدقيقة

يستكشف بداخِلها شيءٍ مَا

وجهها المألوف له

ذلك الشبه الغير مسموح بنسيانه

خرج صوته بعد صمت طويل يقول:

- عايزة ايه وايه الورقة دي؟

تقدمت منه لتكون أمامه بشكلٍ مُباشر، ثُم قالت:

- الورقة دي عقد جواز من ماهر بيه الرفاعي على الهانم سهر عابد اللي هي أمي، اه هو انا مقولتلكش؟ أنا البنت اللي رمتها أنت وهي تخيل! خلينا صُرحا أنت عارف إني بنتك لأن

دي متخفيش عنك بس السؤال هنا بقا، أنتَ بتحس

زينا؟ عندك دم وقلب؟

شعر وكأن أحد الجِبال سقط ليُرسي على كتفيه، يعلم أنها ابنته هل يُعقل ألا يعلم شيءٍ كهذا؟

- أنا عارف كُل ده وعندي استعداد اكتبك بإسمي واديكِ حقوقك كامله

- إيه الرضَا التام ده؟ لا بجد أدائك ابهرني عاش

- صدقيني عندي استعداد اقف وسط البلد واقول إنك بنتي بس تكوني مسامحه!

اندهشت من كم الاستسلام الواضح داخله وفي كلامه،

ماذا حدث لكي يكون بهذا السلام! هناك شيء

عظيم خلفه!

- إيه اللي مغيرك أنتَ مخبي حاجة؟

هل سيتسلم حقًا!

هل ستستسلم يا ماهر بعد هذا العُمر

والجبروت!

هل ستخسر كُل شيء سعيت لأجله منذ زمن!

أين ماهر الذي لا يُقهر!!

الذي يفعل ما يُريد دون النظر إلى أحد؟

هل حقًا ستفعلها؟

وهل بقي المَرض له شيئًا حقًا!

لقد أصبح مُصاب بالمرض الخبيث دون أن

يشعر

دون أن يُصلح ما أفسده في قلوب من يحملون

دمه

يا ويلك!! لقد سقطت ولم يتبقى بجوارك أحد!

يا ويلك!

صمت أدهشها، لقد تيقنت حقّا أنه يخفي شيئًا عظيمًا

صاحت بغضب قائلة:

- مبتردش عليا ليه؟ لما إنتَ عارف سيبتني في بيت لواحد غريب ليه؟ واحد خلاني مريضة نفسية أكره نفسي والساعة اللي جيت فيها؟ ليه تتجوزوا مدام مش عايزيني من الأول؟ ليه تيتمني وأنت عايش وهي عايشه؟

أمام سهام كلماتها النارية لم يستطع أن يتحدث بشيء، قال بشيء من البرود:

- أنا قولت لـ أويس من ساعات قبل ما ياخد مراته المُستشفي يعني عنده علم أنتِ مين،

ومش محتاج اقولك البيت ده بيتك ملهوش

لزوم تخرجي اوضتك بحاجتك هتكون عندك

خليكِ جنب أخوكِ.

تركها وغادر بعدما حارب داخله كي يصمد

أمام الألم الجسدي الذي ينتابه

بينما هي لم يتوقف عقلها سوي على جملة

واحدة

"ياخد مراته المستشفى"

ثُرا ما بهِ أويس ولِما هاتفه مُغلق!

استجمعت شتاتها قبل أن تغادر نحو المستشفى

بسرعة.

- أستاذ أويس؟

استدار أويس للدكتور الذي ألقي بما لا تشتهي

الأذن سمعه

ولا العقل تقبله

- البنت في الحضّانة والهانم للأسف مريضة قلب وقلبها مستحملش البقاء لله وحده.

صدمة!

يجزم أنه أصعب وأبشع موقف مر عليه في تاريخه!

لم تكُن مُجرد نِداء أو رفيقة رحلته الشاقه؛ بل كانت جزءًا منه!

كيف له أن يتحمل هذا الألم؟

شعر بوجود أحد بجانبه ليجد شموس لم تقاوم بل احتضنته بكل قوتها وشاركته البُكاء

باتت تربت على ضهره بعباراتٍ ولكن هل يُكفي الحديث حقًا للتخفيف عنّا!

همست من بين دموعها بمواساةٍ قائلة:

- هون على نفسك ده نصيب ومتعزش عن اللي خلقها

تشبث في حضنها ببكاء مكتوم لا يستطيع البوح بهِ، وكأن وجد النجاة في حضنها، وجد أخت تعطيه الحنان دون طلب بل فعلتها من تلقاء

نفسها

وهناك كان دهام يقف بغيره وصلت لعنانه، من أحبها في حضن من كان حبيبها يومًا، ما هذا بالله!

حاول الهدوء ولو بالتصنع لأجل رفيقه، يوجد ثمة شيء خلف هذا الحضن الكبير لأن شموس تعلم الحدود جيدًا

بينما شهد تحاول جاهده الا تتأثر بما يحدث امامها

وفاة نِداء جعلها غير قادرة على شيء

صدمة اثلجت قلبها لتصبح خاوية من كل شيء

رفيقتها التي هونت عنها تلك الفترة ماتت

لمن ستبقى بعد!

أخرجت شموس رأسه من حضنها لتمسح دموعه بأناملها ثم قالت:

- كل حاجة هتعدي ولازم تكون قوي علشان بنتك اللي ملهاش غيرك دي.!

لحظة استوعب طفلته!، أمر شموس أن تأخذها هي وشهد وتذهب للبيت وتقيم العزاء حتى يقوموا بمراسم الدفن بمساعدة دهام

دهام الذي تجاهلته وتجاهله عينيه المليئة

بالأسئلة

لا تنكر شعورها بالخوف من حدة نظراته ولكن تصنعت التجاهل

لم تنسى ما فعله بها بعد!

أصبح البيت مليء بالنساء اللواتي يرتدن اللون الأسمر

بينما شموس تجلس بين النساء تتلقي العزاء بصبرٍ

حضرت ندا التي أصرت أن تكون بجوار أويس في تلك اللحظة حتى وإن لم تصفح بعد، قلبها لم يطاوعها في ذلك، يبقي أويس أخيها وإن اختلفوا في الأمور!

وجه صغير يُشبه القَمر في تمامه، تنام على ذراع شهد التي تعلقت بها من أول نظرة،

تجلس بها في غُرفتها بعيدًا عن عويل النساء

لم تستطيع أن تزيل نظرها عنها، تشعر أنها مسئولة منها

تحتاجها بقدر ما تحتاجها هي.

تطلعت إلى صورة نِداء ثم قالت:

- بنتك أمانة لحد اخر نفس فيا يا نِداء، هربيها زي ما اتمنيتِ وخططي هستحمل وصيتك على عيني يا نور عيني

أجهشت في البُكاء بصوت مكتوم لا يخرج سوى أنين وقهر نابع من جوفها

ضمت الصغيرة بقوة إلى صدرها وكأنها تحاول جاهده أن تبعث لها الأمان التي فقدته هي

فاقد الشيء يُعطيه دون النظر إلى القدر، يريد ألا يشعر أحد بمثل ما شعر هو، وهذا ما تحاول

أن تفعله هي.

يا ويلي من عيناكِ، أصبحت سكيرًا فيهما.

خرجا سويًا من عند الطبيب بعدما اتموا واجبهم نحو أويس، تعلقت بذراعه هاتفه بحزن يغلب رقة صوتها:

- الدكتور حدد معاد العملية يا أيوب

ضمها بذراعه المتشبثة به ثم قال بعد أن باغتها بنظرة متفحصة:

- وأنتِ خايفة ليه؟

تحررت دموعها بعد حبس إجباري؛ لتُعبر عن ما بها:

- خايفة افقدك، خايفة عليك، أنا مش قادره اتخيل الحياه من غيرك أنا كنت بقول هكون

قويه؟ بس لا أنا ضعيفة أوي أنا عايزاك بخير

وفي نفس الوقت خايفة عليك، أنت فاهمني؟

حاوط وجهها بكفيه بحنان أصبح مداوم عليه

لأجلها

هي فقط كل النساء في عينيه

هي من أعطاها الثقة الكاملة

كالطفل المُطيع معها

يود لو يكون بخير لأجلها

هي نصفه وهو كلها!

- أنا فاهمك جدًا، ومن يتوكل على الله فهو

حسبه متخافيش كل حاجة هتعدي بأمر الله

وهتحققِ اللي الزمن مسمحلكيش تحققيه

حاوطت خصره بذراعيها ثم ضمته هي بقوة،

في هذه اللحظة لا تتمنى سوى أن يتوقف

الساعة بينهما

هي وهو ونسمات الريح فقط!

خرج صوتها ببحته قائلة:

- شوفت شموس؟ فينا شبه من بعض يا أيوب مش معقول الشخص ده يظلمنا كلنا بالطريقة دي!

سند على رأسها المضموم لصدره، ثم قال بشرود:

- شخصيه ابوكِ مش مفهومه بالنسبالي، إيه الغرض من زواجه المتعدد وليه مداش أختك حقها في النسب وليه يخرج شخصية زي أويس بالسوء ده بجد انا اول مره احتار في شخصية زي دي.

- ظلم كل واحد فينا بطريقة مختلفة، ووجعنا

بطريقة مختلفة، ساب جوا كل واحد ندبه هتفضل طول الوقت ملازمانا

قبل رأسها بتنهيدة ثم ختم الحديث بقوله:

- الحمدلله على كل حال الحمدلله.

* * *

في منتصف الليل، فتح باب غرفة الصغيرة ليجد شهد تجلس وتحتضنها وهما نائمان توقف أمام شهد حائرًا لا يعلم ماذا عليه أن يفعل

حسم أمره وحاول أن يأخذ الصغيرة بهدوء لتنتفض شهد على أثر اللمسة بفزع، تراجع للخلف أثر ذلك ليقول بسرعة:

- اهدي أنا كنت جاي اخد أريام كملي نومك على السرير

اعتدلت ثم أعطته "أريام" وهي تقول:

- كنت مستنياك بس من التعب نمت، البرونة عندك فيها لبن ودافي خدها علشان لو جاعت نظر لها بامتنان على ما تفعله دون طلب منه، ثم قال:

- تعبتك معايا يا شهد نامي اليوم كان طويل وأنا هاخدها محتاج أقعد معاها شوية.

تركها وحدها متوجهًا نحو غرفته الرئيسية، هو بحاجة أن ينفرد بها

وضعها على الفراش ثم جلس امامها لأول مرة يتأمل بها

جميله هي!

تُشبه شموس وعينان نِداء وشعره هو!

اخذت من أحبابه ما يكفيه حقا

شعر أن قلبه يكاد ينخلع من صدرة حزنًا عليها

لقد ذاقت اليُتم مُبكرًا

فتح الورقة التي أصرت نِداء عليه ألا يفتحها إلا بعد الولاده، كان الأمر مثير للشك وقتها ولكن أحترم رغبتها، بدأ يقرأ بصوت عالي:

- "عزيزي أويس، لا أعلم هل سأعيش بهذا المرض أم لا ولكن ما أود قوله في رسالتي لكَ، لا قلب أحبك مثل قلب نِداء، كُل يوم بدون ملل أتأمل وجهك بتمعن، أحفر ملامحك داخل عيناي، أحببتك بشكلٍ مختلف حتى وإن عشت أعوام لم تلتقى بأحد يحبك ضعف حبي، سأترك لك نطفة وضعتها داخلي في برودة الشتاء لتأتي هي الربيع المحمل بالنسيم والورد، لا اقول لك لا تتزوج بل أطلبها منك من كل قلبي

أن تتزوج من تتحمل ابنتنا دون كلل أو ملل، عاملها كالأميره، ناديها بـ أريام لأني أثق أن عينيها ستشبه عين الغزال في خدتها وضعفها، إلى اللقاء حتى المعاد عند الله.. زوجتك نِداء "

- شهد المقصودة! كنت واثق.

بكى وكأن أول مره يبكي

بكىٰ أويس من كل قلبه

قلبه يؤلمه بقوة

أصبح الآن وحيد، متجرد من كل شيء

رسالتها لم تكن وداع؛ بل شيء غليظ ثقل على قلبه

قبل جبين ابنته ثُم قام يؤدى صلاة الفجر لعلها النجاة من وجع قلبه.

الخاتمة

الجميع أمام غُرفة العمليات بجانب ندا

أويس وشهد

متين وسيا

شموس ودهام

وشهد الجالسة بأحضان أويس تبكي وترتعد

في صمت قاسي

أيوب حبيبها داخل غُرفة العمليات

يفصل بينه وبين الموت باب

لا تصدق أنها تعيش تلك اللحظة!

قلبها يصرخ داعيًا لأجله

وعينيها تواسيها بالدعاء

ضمها أويس بقوة إلى حضنه هامسًا بمواساة:

- اهدي هيكون بخير والله اهدي بس

كلما راودتها الأفكار تبكي بخوف

لا حيلة لها سوى البُكاء

مر الوقت كسنين عجاف عليهم بين خوف

وقلق ووجع

خرج الطبيب اخيرًا بعد جراحة دامت لساعات

عسيرة عليه

اسرعت ندا تجاهه تسأله بخوف واضح في

صوتها:.

- طمني يا دكتور بالله عليك قول

تفحص الطبيب حالها بشفقة ثم قال:

- الحمدلله العملية نجحت وده بفضل الله ثم

الانتظام على التعليمات والعلاج كان ليه أسهم

في العملية

خرجت صرخة منها بسعادة ثم قفزت على

أويس بفرحة تقبله من وجنتيه، ضمها أويس بفرحة لفرحتها

لقد أصبحت علاقتهم قويه كالمُعجِزة

لم يتوقعوا يوم أن يتقبلون بعضهم بهذه السرعة

ضمتها شموس هي الأخرى بفرح قائلة:

- مبارك يحبيبي ربنا يقومه بالسلامة يارب

- يارب ياشموس

مرت الأيام على وفاة نِداء وماهر أثر مرضه لقد دخل الفرح أخيرًا على بيت الرافعي

تجمع الأخوة تحت سقف واحد دون ضغط أدخلت الصغيرة "أريام" الفرحة والسعادة عليهن؛ فقد أصبحت غالية عليهم لا يفرطون بها

على مائدة واسعة تضم العديد من الكراسي

يرأس أويس المائدة وعلى يمينه أيوب ويساره

متين

بينما دهام يشاكس كعادته في شموس

السعادة تعتلي وجوههم بعد مرور سنين

وشهور وليالي قاسية

لقد زارت الشمس حياتهم

وهلّ الربيع بنسماته

سطعت الشمس بعد عناء ليل طويل

لم تنتهي القصة بَعد؛ بل ستبدأ من تلك اللحظة

بنكهة مختلفة ومغامرة مسلية ستثير إعجابكم.

إهداء تلك الرواية إلى كل رفيق رافقني دون

شكوى

إلى الجميلة ندا

والعزيزة لارا

ورفيقة الدرب حنين

مصممتي الغالية روان!

انتظروا الجزء الثاني نستكمل حكاية

سلسلة الحب والحرب

دهام وشموس،

أويس وشهد

متين وسيا

أيوب وندا

إبراهيم وأمنية

رهان!!

بعنوان " نسمات الربيع "

" سلسلة أجراس الحُب ... والحَرب "